


قد تكون حقيقية.. وقد تكون غير ذلك.. الحكم لك!

«روايــة»

حزام بن راشد



الطبعة الرابعة

# "تنويه"

وقعت العديد من القصص الحقيقية..

الموثقة من الجهات الأمنية في بلدي..

قصص جُندت فيها نساء سعوديات لصالح العديد

من التنظيمات الإرهابية..

تجنبت ذكر اسمائهن للاستدلال على صحة المعلومات

التي طرحتها بين أوراق الرواية..

تقديراً للوضعين النفسي والاجتماعي لتلك العائلات المتضررة.

**(أي تشابه بالأسماء.. هو فقط بمحض الصدفة)**

قد يختلف معي البعض في كتاباتي..

لكن.. ماذا أفعل لهم طالما هذا أنا..

أكتب من أجل ( وطني )..

وهم يعترضون عليّ من أجل طريقة فهمهم للدين!

******

سيأتي اليوم الذي ستقرؤون فيه هذا الإهداء

وأنا ميت تحت الأرض.. لذلك..

إن اختلفتم معي فيما كتبته وأنا حي..

أعيدوا قراءته وأنا ميت..

ربما ستفهمون ما كنت أريد أن أوصله إليكم..

من خلال كلماتي.. كلماتي فقط.. وليست رصاصاتي!

# إهداء

على الرغم من المرارة التي أصبحت جزءاً من قلبي..

إلا أنني ما زلت أقولها لكِ.. كما لو أنه لم يحدث لي شيء!

تلك الكلمة التي أحبها..

لن أكتبها طالما أنكِ عرفتِها الآن! نعم هي.. وليست غيرها.

أُحبكِ..

يا امرأةً لا تزال معي.. في زمان الحصار..

أُحبكِ..

يا امرأةً لا تزال تقدم لي فمها وردةً.. في زمان الغبار..

أُحبكِ..

حتى التقمص.. حتى التوحد..

حتى فنائي فيكِ.. وحتى اندثاري..

**نزار قباني**

عندما نكتب..

نتقاسم مع الناس بعض أوهامنا

وهزائمنا الصغيرة..

**واسيني الأعرج**

# الهروب نحو الهاوية!

يفترض أن أكون الآن بأقذر مكان في السجن!

وأن أواجه ربما حكم الإعدام، بسبب انتمائي إلى تنظيم داعش الإرهابي!

لكن صدفة العمر أو لعبة الحظ، جعلتني أنعم إلى الآن بملايين من الريالات, بعيداً عن هذه النهاية المأساوية.. المفترضة!

ضياء, زوجي الثاني بالمسيار.. كما شرّع البعض ذلك, ظناً منهم أنه ضحك على الله!

هو سبب تعاستي وسعادتي في الوقت نفسه!

إلى الآن مازلت أشتمّ رائحة شقته النتنة، التي أُجبرت على العيش فيها!

قصتي ليست لها شبيه، بل إنها لا تصدق أبداً.. لدرجة أنني شخصياً لم أستوعب تفاصيلها بعد.. كل ما حدث لي, لم يكن ليحدث لو تزوجت من ابن جيراننا, الذي أحبني وأحببته بجنون منذ صغرنا, في حي الجرادية بمدينة الرياض..

لكن عناد والدي قبل أن يتوفى، وتمسكه بعادات القبيلة، جعلاه يحرمني من خالد.. على الرغم من أنه لا يقل عني

نسباً, ومن قبيلة معروفة.. الشاب الوحيد الذي أحببته، حيث كان بتلك الفترة يدرس الطب, واستمر توارث ذلك الحرمان من قبل إخواني!

ولأنني يتيمة الوالدين.. لم أستطع مقاومة جبروت وعناد إخواني الشباب الثلاثة, فأنا أختهم من زوجة والدهم الثانية المنبوذة المتوفية.. التي اقتحمت حياة والدتهم، كما يقولون دائماً..

بُغضهم الدائم لي، أنا أختهم الوحيدة غير الشقيقة.. آخر العنقود، هو ما جعلني بأن أصل إلى هذه المرحلة..

عام 2012 م

زواجي الاول.. تزوجت مجبرة وأنا في سن السابعة عشرة بشاب من قبيلتي نفسها..

لم يلاطفني أبداً خلال الأشهر الخمسة الأولى التي جمعتنا في منزل واحد مع أهله, فمنذ الأسبوع الأول، اكتشفت أنه يتواصل هاتفياً مع فتاة أخرى..

أخبرني بعد مواجهته بذلك, بأنها حبيبته التي لا يريد الارتباط بغيرها, وأنه أجبر على الزواج مني بإصرار وتهديد والديه, مثله مثل معظم الشباب, بل وصلت به الدناءة بأن يطلب مني أن أقبل بأن يأتي بها في غرفتي وعلى فراشي

خلسة! ومنذ أن طلب ذلك الطلب الوقح، انتهى كل شيء بالنسبة لي، ولم أغضب منه، لأنه ضحية مثلي تماماً، ضحية تعنت أسري يقدم العادات على المنطق، لقد تزوجت من حبيب فتاة أخرى، كما هو تزوج مني.. حبيبة شاب آخر! قمة الظلم والخيانة أن نتزوج من أحباب غيرنا، ونقبل أن نمارس دورهم.. مجبرين!

يااااه على هذا الظلم الشرعي يااااه.

لم أبقى معه أكثر من تلك المدة.. إلى أن طلقني، بعدما طلبت منه ذلك كثيراً..

وسط غضب الأهالي.. وعلى الرغم من أنهم كانوا السبب الرئيسي في هذه النهاية الغبية.

بعد ذلك بفترة.. توفيت والدتي المريضة..

ومنذ ذلك اليوم، قررت أن أكرس جل وقتي في الدراسة، كي أنتهي من السنة الأخيرة من تعليمي الثانوي وألتحق بالجامعة، خصوصاً بعدما علمت بقرار خالد الذي قرر وقتها الاهتمام بإكمال السنة الأخيرة من دراسته بالطب.. واختفى كي يشغل مأساته بذلك الهدف.

حصلت على الشهادة الثانوية بامتياز، وبدأت أقدم بالجامعات المحلية، قبلت بي العديد من الجامعات، ومن

بينها جامعة الملك عبدالعزيز في جدة..

أذكر جيداً شعوري تجاه هذا الخيار.. اخترت فوراً هذه الجامعة, ولا أعلم لماذا؟! لكنني أعتقد أن أحد أهم الأسباب هو أن مدينة جدة تبعد عن مدينتي (الرياض) قرابة ألف كيلومتر.. وحينها كنت أبحث البعد عن كل شيء.

أصررت على الذهاب، رغم رفض إخواني المتصنع, هم في نظرهم أن هذه فرصة على طبق من ذهب كي يتخلصوا من عبء وجودي بحياتهم العائلية، ومن ازعاج زوجاتهم الرافضات وجودي في منزل أحدهم, فأنا منذ وفاة والدتي ثم بيع منزلنا الصغير, أصبحت متنقلة بين منازل إخواني الثلاثة.

وافقوا وكلفوا أخي أحمد, أقلهم قسوة والذي يحمل بقلبه بعض الرحمة كما كنت أظن ذلك , بتجهيز أوراقي ومتطلبات دخولي سكن الطالبات الجامعي هناك..

حدث ذلك سريعاً.. مع اقتراب الموسم الدراسي الجديد عام 2014م

ودّعتهم.. وأوصلني أحمد وأخبرني بأنه سوف يتواصل معي بين فترة وأخرى.. أذكر جيداً ملامح وجهه وعيناه التي لم تقع على عينيّ مطلقاً, ربما حرجاً أو حزناً, لا أعلم.. قال لي

وهو يمسك بمقود سيارته بقوة وسط تموج حاجبيه:

- وداعاً روان.

ودعته بحزن.. والتحقت بالسكن كي أبدأ دراستي, أو إن جاز التعبير، كي تبدأ تعاستي!

بعد استكمال أوراقي من قبل المشرفة هناك، أوصلتني إحداهن إلى الغرفة التي سوف أعيش بها قرابة السنوات الخمس كي أحصل على الشهادة الجامعية..

أذكر جيداً تفاصيل جدران تلك الممرات الأشبه بالمتاهات, ورائحة ملطف الجو التي كانت منتشرة بالمكان.. طوال ذلك الطريق, كانت تلقي تلك المشرفة القوانين والشروط والتحذيرات.. كل شيء ممنوع سوى الأكل والتنفس! جيد إلى حد ما..

يمنع اقتناء الهواتف وأجهزة الحاسوب وكل ما هو مجهز بكاميرا التصوير..

وبعد العاشرة مساء.. يمنع الخروج من السكن حتى مع ولي الأمر..

وغيرها من الأوامر المقيدة.. لكن اكتشفت فيما بعد أن الكثيرات منهن يخالفن القوانين بطرق ملتوية وذكية..

وصلت إلى الغرفة الصغيرة.. وجدت بداخلها سريرين وفتاة..

علمت بأن هذه الفتاة هي التي ستشاركني الغرفة..

تكلمت المشرفة:

- أنتِ يا خديجة.. هذه شريكتكِ الجديدة بالغرفة.. روان..

مشطتني بنظرات مريبة، ثم قالت بصوت متوسط:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- وعليكم السلام.

- ردي بتحية أفضل منها كما أمرنا الله.

- ها! آسفة.. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

نظرة خاطفة مني على جدران الغرفة أصابتني بالتوتر قليلاً!

كانت الجدران تحتضن الكثير من الصور التي لا تحمل الوجوه..

لوحات تحمل آيات جهادية.. وصور لمدينة بغداد القديمة ولدمشق, وفي منتصف الغرفة صورة لخريطة العالم العربي والإسلامي!

وسجادة خضراء بطرف سريرها, وبين أصابع يدها اليمنى سبحة صفراء طويلة..

وضعت حقيبتي بجانب السرير الخاص بي, وتظاهرت بهدوء أردت إثباته بابتسامة كاذبة..

خلعت عباءتي كي أتخلص من الحر وأرتاح قليلاً..

- بنطلون! وجينز! هنا في غرفتي!

- ما خطبكِ؟ وما الخطأ في ذلك؟

- اسمعي روان.. سأعذرك لأنه يومكِ الأول.. إذا أردتِ أن تنعمين بهذه الغرفة, تقيدي بالأدب وابتعدي عن المنكرات، وإلا سأتصرف معكِ تصرفاً آخر..

- أدب؟ منكرات؟ ما الذي فعلته؟! لم أتفوه بكلمة ولم أكمل حتى خمس دقائق معكِ!

- لا أريد مشاهدة هذه الملابس مرة أخرى.. ارتدي الملابس الفضفاضة فقط.

علمتِ أنها فتاة محافظة، بل متشددة, وأردت أن أنهي هذا النقاش، خصوصاً أنه اللقاء الأول بيننا، ولا أريد أن تتعكر علاقتنا منذ البداية, فأمامنا سنوات وسنوات..

لذلك أجبتها بالموافقة، وأخبرتها بأنني سوف أحترم ما

تريده..

بدلت ملابسي ونمت نوماً عميقاً غير مريح أبداً بتلك الليلة الغريبة والموحشة..

لا أريد أن أصدمكم بإخباري لكم بأنني لم أكمل أسابيع بالسكن الطلابي!

لقد هربت!

نعم، هربت من السكن بسبب تلك المجنونة التي ورطتني بأشياء كثيرة!

أسوأها عندما قامت بإجراء مكالمات من هاتفي الخاص وإرسال إيميلات من حسابي الخاص أيضاً إلى شخصيات مشبوهة من دون علمي!

طيبتي وحيائي جعلاها تتمادى معي وتستغلني..

تصرفاتها وحديثها العدائي المستمر تجاه الدولة صدمني كثيراً..

تكفيرها للكل ومن دون استثناء أصابني بالقشعريرة والخوف.. لكنني لم أكن أعلم ماذا يجب عليّ أن أفعله.. فأنا أريد أن أحافظ على المكان الذي يأويني ويساعدني على إكمال دراستي..

كان كل حديثها عن الجماعات الإرهابية بسورية والعراق!

تمدحهم.. تبجلهم.. تدعو لهم وتناصرهم من خلال حسابات وهمية قامت بإنشائها على "تويتر"!.. صارحتني بذلك ظناً منها بأنني سوف أتعاطف معها..

صارحتني بعدما أصبح بين يديها ما يدينني!

إلى درجة أنها تجرأت بأحد الأيام كي تجبرني على مشاهدة مقطع لعملية اغتيال لرجلي أمن.. كانا يؤديان واجبهما وهما يستقلان السيارة!

لا أصدق أن رجال الأمن الذين يتوقفون وقت الصلاة لآدائها مع المواطنين, أو على الأرصفة مع عمال النظافة.. هم كفرة فجرة بأعينهم ويجب قتلهم!

رأيت العديد من المقاطع التي يُقتل بها شباب في مقتبل العمر..

كل ذنبهم أنهم يرتدون زياً عسكرياً كي يمارسوا واجبهم اليومي مقابل راتب شهري يصرفون به على عائلاتهم..

في كل عائلة تقريباً يوجد رجل أمن.. شرطي.. رجل مرور.. أو حتى رجل دفاع مدني..

والكل يعلم أن معظمهم لا يملكون خلفية سياسية كبيرة أو

عميقة بما يدور حولهم.. هم بسطاء.. يبحثون عن الوظيفة التي تساعدهم على مشاق ومتاعب الحياة..

ولهم شرف حماية الوطن من خلال ذلك.. كيف يكافؤون بالقتل؟!

لا أنسى ملامح المجنونة خديجة المنتشية بالسعادة وهي تشاهد هذه المقاطع وتتبعها بالتكبير..

كانت تصر علي أن أشاهد ذلك، وأخشى أن أرفض..

لذلك، كلما اقتربت مني كي تريني مثل تلك الفيديوهات, كنت أوجه نظري بجانب هاتفها وأوهمها بأنني أشاهد بتمتع.. وأنتظر بقلق انتهاء المقطع كي تحل عن سمائي وتنزاح غيومها الملبدة من أمام عينيّ..

توجست خيفة منها, خصوصاً عندما قالت لي كلمات لم أنسها أبداً.. علمت من خلالها أنها فتاة ليست طبيعية أبداً.. نظرت إلى الأعلى ثم قالت:

لطالما تمنيت لو أن تنبت لي لحية!!!

كي أسيطر على من حولي! وأتمكن من أنفسهم.. من مالهم..

حتى من أبنائهم.. ومن ساعة إزهاق أرواحهم برميهم في التهلكة!

من أجل هدف واحد فقط.. نصرة إلهي وديني.. لكنني فتاة.. للأسف!

تحملت كثيراً كي أستمر بالسكن.. طلبت سراً من المشرفة أن تغير لي الغرفة..

وفي كل مرة تسألني لماذا؟ ينشل لساني عن الإجابة خوفاً من العاقبة..

إلى أن حصل أنني أصبحت أصمم لها صوراً على برنامج "فوتوشوب" كي تنشرها على مواقع التواصل الاجتماعي.. مقابل عشرين ريالا للصورة..

قبلت لحاجتي الماسة الى لمال.. ولم أكن أفهم ما تحمله الصور من خطورة إلا بعد فوات الأوان..

إلى أن أتى ذلك اليوم الذي عرّفتني فيه على ضياء..

سعودي الجنسية.. يبلغ من العمر 39 عاما..

وقامت بالربط بيننا على "واتس آب".. كي يخبرني عن نوع الصور التي يريدها، ومن ثم أصممها وأرسلها له مباشرة كي يقوم بنشرها بشكل أكبر من خلال حسابات "تويتر".

بعد شهر من العمل.. والتقصير في الدراسة.. كتب لي ضياء بعد منتصف الليل:

- كيف حالكِ روان؟

استغربت من سؤاله على غير العادة في هذا التوقيت.. ترددت أن أجيبه، لأنه لم يسبق لنا أن تحدثنا خارج إطار العمل.. ثم كتبت وأنا مستلقية والخمول يمشط أجزائي:

- الحمد الله.. تفضل.

- هل خديجة بجانبكِ؟

- نعم.. ولكنها نائمة.. لماذا؟

- ما سوف يدور في هذه المحادثة أريده أن يظل بيننا, وأن نحذفه فور انتهائنا من الحديث.

كلماته هذه جعلت محاولات النوم التي كانت تراودني تزول وتتقهقر:

- تفضل أخي.

- لي خبرة بالحديث مع الناس, ومعرفة طبيعة شخصياتهم, ولديّ قناعة كلية بأنكِ تفعلين ما تفعلينه مجبرة, لماذا؟ هل تجبركِ خديجة؟

فاجأني حقيقة بما قاله.. وترددت كثيراً بالاعتراف.. لأنني تساءلت مع نفسي حينها, ما الفائدة من إخباره بذلك؟ قاطع صمتي بتكرار سؤاله مرة أخرى:

- روان.. هل أنتِ مجبرة؟

- لا لا.. ثم لماذا تسأل؟

- من يعمل معنا أسأل عنه جيداً بطريقتي الخاصة, وحديث خديجة عنكِ لم يقنعني, لذلك أشعر بأنكِ مجبرة بسبب خوفكِ مثلاً أو لحاجتكِ للمال ربما!

وجدت أصابعي تكتب من دون أن تستشيرني:

- نعم مجبرة.. ولا تسأل أكثر.

- روان.. نحن مقبلون على مرحلة خطرة ولا أنصحكِ بالاستمرار, ولن أبوح لكِ أكثر من ذلك.. وأنصحكِ بكل هدوء أن تحذفي المحادثة الآن, وألا يصل لخديجة ما دار بيننا أبداً.

أذكر جيداً رجفة يديّ حينها, وأذكر طقطقة أسناني من الخوف التي بسببها جعلت خديجة تتقلب بفراشها, أغلقت هاتفي فوراً وحضنت فراشي ولم يتجرأ النوم حتى من الاقتراب مني الى طلوع الشمس من دون أن أشعر بذلك.

أسبوع كامل لم أنم جيداً, ولم أصمم أي تصميم وسط غضب خديجة..

كنت أتحجج بالمرض، ولم تصدق ذلك..

إلى أن أخبرتني ذلك اليوم بخبر زلزل كل جسدي..

أخبرتني بأنها تسعى منذ فترة إلى تجنيد بعض الطالبات المحافظات بالسكن, من أجل الانضمام إلى الخلايا الإرهابية السرية بالبلد, ممن يحملون نفس الفكر التكفيري التي تعتنقه هذه المجنونة!

صرخت صرخة بوجهها.. وأنا أتطاير غضباً:

- ماذا تقولين؟ هل جننتِ.. وما دخلي أنا؟

- أنتِ رفيقتي بالجهاد هنا؟ هل نسيتِ؟

- نعمممم.. جهاااااد؟

تساءلت مع نفسي: ما هذا النوع الحديث من الجهاد التي تقصده؟!

كنت أبكي وأنا مرعوبة، وبدأت بطرح توسلاتي بين قدميها كي تتركني وشأني..

قالت بكل برود:

- فات الأوان يا جميلة.. أنتِ معنا ورسائلكِ على إيميلكِ الشخصي ومحادثاتكِ معي بالحفظ والصون, كلها تثبت أنكِ رفيقتنا, اهدئي.. فأنتِ الآن تعيشين الفخر.. أزهى فترات

عمركِ أيتها الغبية.. عفواً أيتها المجاهدة.

(قالتها ضاحكة).

طبقت فمي وأخرست ملامحي وصمت صمتاً غريباً..

لم أصدق أبداً ما أنا فيه..

كان هدفي من دخول السكن هو الدراسة للهرب من الظروف العاطفية المؤلمة التي مررت بها, وتحول الهدف في لمح البصر إلى محاولة النجاة فقط!

طرأ على بالي أخي أحمد.. هو الحل لخروجي من هنا, لأنه -وكما تقول التعليمات والقوانين هنا- هو ولي أمري ولا أستطيع الخروج أبداً إلا بإذن منه شخصياً.. اتصلت عليه سراً، وأخبرته بأن يأتي فوراً للأهمية..

سألني لماذا؟ أخبرته بأن الحديث على الهاتف غير مجدٍ.. وطلبت منه أن يستعجل بالحضور من الرياض، تمتم بكلمات ثم أنهى المكالمة بـ"حسناً", وأغلق هاتفه لمدة أسبوع! ربما ظن أنني أريد منه المال؟

لم أهنأ بالنوم طوال ذلك الوقت, سوى وأنا مجبرة من فرط السهر والإجهاد..

وفي أحد الأيام وأنا أنظر إلى السقف يأساً وإحباطاً،

وخصلات شعري تغطي عينيّ،

أضاءت شاشة الهاتف بعد منتصف الليل.. نظرت إليها متكاسلة..

رسالة من ضياء.. فتحت الهاتف بسرعة.. كتب لي:

- صباح الخير أيتها المجاهدة (أتبعها برمز لوجه ضاحك)..

- ضياء.. أريد الخروج من هنا.. أشعر بالاختناق والضياع!

- أين أهلكِ؟

- شأن خاص.. أريد الهرب من هنا والرجوع إلى أهلي..

- سهل جداً.

- كيف ذلك؟ أخبرني؟

- بعد أن تصلي إلى الحرم الجامعي من خلال الحافلة.. أخبريني في أي يوم تريدين ذلك وسآتي لأخذكِ.

- تأخذني! إلى أين!

- إلى أهلكِ كما تريدين.

- أهلي بالرياض وبين الرياض وجدة قرابة ألف كيلومترا!

- أعلم.. لذلك سآخذكِ إلى منزل أختي وترتاحين عندها

ليلة, كي أرتب لكِ رحلة عبر البر مع عائلتها.. هي من سكان الرياض وأتت هنا لقضاء إجازة..

ترددت كثيراً بالرد عليه.. لكن هاجس الخوف من خديجة وجنونها جعلاني أوافق على ما قاله.. المهم أن أخرج من هنا.. كتبت له:

- اتفقنا.. سأرتب بعض الأمور وسأخبرك عندما أجهز..

- اتفقنا روان.

انتهى الحوار.. ولم أستوعب ما سوف أفعله! سأخرج مع شاب غريب!

سأفعل كي أهرب من الجحيم.. كنت مضطرة، فأخي أحمد لم يفتح هاتفه حتى تلك الليلة, ومن المستحيل أن أهين نفسي وأطلب شيئاً من إخواني الآخرين.

كنت أهدئ من توتري وأخبر نفسي بأنها دقائق فقط وسينتهي كل شيء..

أتى ذلك اليوم.. ووصلت إلى الجامعة..

الخروج من البوابة بعد الدخول منها لا يكون إلا بعد العاشرة صباحاً..

تلك هي القوانين هناك.. وذلك يتطلب إبراز البطاقة

الجامعية لمشرفات الأمن عند البوابة قبل الخروج.. بطاقات طالبات السكن تحمل اللون البنكي.. ولا يُسمح لهن بالخروج قبل حضور الحافلة.. وأما من يملكن البطاقات العادية.. فيحق لهن الخروج عقب العاشرة.. لذلك، قمت بسرقة بطاقة إحدى الطالبات من حقيبتها أثناء المحاضرة.. وانتظرت بعد ذلك حتى يتزاحم الطالبات عند البوابة للخروج, وسيصعب حينها التدقيق على البطاقات من قبل المشرفات..

وبالفعل.. دخلت بينهن وأبرزت بطاقتي بسرعة تمويهيه لا تتجاوز ثواني..

لذلك نجحت بالخروج بالبطاقة المسروقة..

وجدته جالساً خلف مقود سيارته البيضاء القديمة التي لا أعرف نوعها، إلا أنها تحمل علامة تويوتا الشهيرة.. تعرفت عليه من وجهه الذي وصفه لي..

تقدمت باتجاه السيارة وسط ارتجاف قدميّ اللتين لم تشعرا بمثل هذا الارتجاف من قبل, كنت أشعر بدوار خفيف ولا أشعر بمن حولي, لا أرى سوى مسار واحد يحمل ألوانه الطبيعية والظلام الدامس من على يميني ويساري..

كنت أسرع بالخطوات، رغم أنني أشعر بالبطء الشديد والخمول الذي أصاب أطرافي فجأة!

إلى أن وصلت للسيارة.. وفتحت الباب الخلفي وركبت مسرعة وأغلقته..

كان كثيف الشعر واللحية.. ويرتدي ملابس رياضية.. عيناه باتجاه عينيّ المرتبكتين من خلال المرآة المستطيلة المثبتة بالأعلى، ثم قال:

- السلام عليكم..

- وعليكم السلام.. أرجوك تحرك قبل أن يراني أحد.

- حسناً مجاهدتنا المنشقة (ابتسم ابتسامة ساخرة).

بعد نصف ساعة من الصمت.. وصلنا إلى البناية التي بها شقة أخته..

نزلت وأنا حائرة.. تقدمني وصعد الدرج وتبعته..

فتح الباب.. ثم دخلت بعده.. أغلق الباب ثم أدخلني المجلس وذهب إلى الداخل..

جلست ونبضاتي تضرب بقوة حتى أنني شعرت للحظات بأن تدافعها يلامس عظام قفصي الصدري من قوة ضرباتها..

كان المنزل بسيطا جداً.. ولا يوحي بأنه سكن عائلة..

اتضح لي ذلك من خلال العشوائية بالمجلس، وأعقاب

السجائر المتناثرة والقمامة..

الرائحة كذلك كانت مستفزة.. جهاز التكييف من غير غطاء.. والصدى ملازما الجدار..

بعد أن تجولت نظراتي.. دخل ضياء.. لا يحمل حول جسده سوى فوطة قصيرة!

بدايتها تحت سرته ونهايتها فوق ركبتيه! وبيده اليمنى ساطور حاد!

صُدمت.. ذُعرت.. جُننت.. حتى كاد يغمى عليّ..

- ما هذا؟ أين أختك؟!

أجابني بكل برود واستهزاء:

- أي أخت؟

علمت حينها أنني وقعت في فخ قذر.. تمنيت وقتها أنني برفقة خديجة!

اقترب مني وسط توسلاتي له وبكائي بأن يبتعد..

أخبرني بأن أي صوت عال قد يبدر مني، سيكون الصوت الأخير بعد أن يستقر الساطور في منتصف رأسي!

الفجعة التي احتلت مفاصلي وشرايين القلب وأوردته..

جعلتني لا أقوى على الصراخ أبداً.. كل ما قمت به سوى صرخات أخف من صوت دبيب النمل!

ولم يدع لي الفرصة أن أكمل توسلاتي.. حتى أغلق فمي بيده، ومن ثم وضع عليه اللاصق القوي المتين بشكل دائري مرره من خلف رأسي..

قاومته بكل ما بقيت لي من قوة.. كنت ضعيفة جداً.. وكأنني قطعة فلين تقاوم أمواج بحر غادرة لا تعرف الرحمة..

شقق ملابسي.. ضربني على وجهي.. وقام بربط يديّ وقدميّ ببعضهما..

ثم بدأ بتصويري بهاتفه المحمول.. واغتصبني بدم بارد!

لم أستوعب ما كان يفعله بي.. ولم أشعر وقتها سوى بالألم الأول الذي حملته البداية.. ومن ثم غبت عن الوعي بعدها.. حتى هذه اللحظة ما زلت أعاني منها نفسياً كلما تذكرت هذه الحادثة.

استيقظت بعد ساعة تقريباً.. وجدته في ركن الغرفة، يجلس على طاولة خشبية، يسرح لحيته بيد، ويدخن سيجارة بيد أخرى.. نظر إليّ وسط ضحكاته المتقطعة، ثم قال:

- ظهرية مباركة يا عروسة..

صعقت من كلماته ومن حالتي.. بدأت أشعر بآلام جسدي المنتهك..

عندها مباشرة.. ظهرت صورة إخواني الثلاثة في مخيّلتي.. فارتعش جسدي كاملاً, وبكيت بقوة حتى احمرت عيناي وأنا أدعو وأتحسب عليه..

وواصل هو الضحك حتى صرخ صرخة قوية:

- يكككفي.. ارتدي ملابسكِ وعباءتكِ, لتعودي بسرعة إلى الجامعة كي تلحقين بحافلة السكن الطلابي قبل ذهابها..

القذر.. استغل حاجتي للخروج لإشباع رغبته.. سألته وترجيته أن يحذف المقطع الذي صوره بهاتفه.. فرد بكل طغيان:

- لم أشبع منكِ بعد.. أريد أن أشاهده قبل النوم, وكلما اشتقت إليكِ.. وإن حضر مجرد التفكير إلى ذهنكِ بإبلاغ الشرطة عما حصل, فسيكون مقطع اغتصابكِ من أشهر المقاطع المتداولة بالسعودية.. خلال دقائق فقط من بلاغك..

أيقنت أنني أصبحت تحت رحمة حقير.. غير خديجة.. هل هذا مجاهد حقاً؟

لماذا اللحية التي تغطي نصف وجهه؟!

كم كنت مدمرة ومصدومة حينها, ولست مصدقة لما حلّ بي في تلك الساعات الماضية..

ارتديت ملابسي وأنا مكسورة، بعد أن حرر قيدي, وركبت بالمقعد الخلفي من دون مقاومة, وأوصلني إلى الجامعة، فدخلت مسرعة وكأنني داخلة إلى الجنة..

عدت بعدها إلى السكن مع الحافلة المخصصة لذلك, ووجدت خديجة تنتظرني بالغرفة:

- أهلاً بالعروسة..

صدمة أخرى كانت بانتظاري! لقد كانت تعلم كل شيء.. وهي من خططت برفقة السافل ضياء.. بعدما أخبرها عن نيتي بالهروب..

تأكدت حقاً من أنني وسط جماعة لا تعرف الرحمة.. لا تعرف شيئاً عن الدين!

مرضى.. حمقى.. جوعى.. خليط سيئ من كل شيء..

تجرأت وهجمت عليها كي أنتقم منها.. لكنني ضعيفة ومنهكة.. فقامت بدفعي بقوة وسقطت على السرير, ثم ثبتت يديّ بعد أن صعدت فوقي:

- إن تكررت تلك الأفكار الغبية في مخيلتكِ.. ستتجرعين الندم.. كوني مطيعة.. أنتِ معنا ولن نتركك بسهولة.. أحذركِ.

ثم ابتعدت عني.. وخرجت من الغرفة.. وبقيت وحدي أنظر إلى السقف ودموعي تتساقط على خديّ من دون أن ترمش عيناي أبداً..

ظللت ساعتين على وضعي.. ثم قمت لأغتسل من آثام دُنِّست بها جسدي رغماً عني.. فكرت بالانتحار وقتها.. لكنني أجبن من أن أفعلها.. تلك الأيام لم آكل جيداً فيها سوى ما يساعدني على القدرة بالذهاب إلى الجامعة.. فالغياب ليس في صالحي، وإن تحججت بالمرض فسوف يعرضونني على الإدارة الطبية، وهذا الذي كنت أخشاه.. خوفاً من ملاحظة الكدمات أو الجروح التي وسمت على جسدي.. لذلك واصلت بالذهاب كالحمارة التي تحمل أسفاراً..

أسبوع واحد فقط.. ثم عاد للتواصل معي.. كتب لي أنه اشتاق لي..

تمنيت لو أنني أملك القدر وقتها، لأسلط عليه ملك الموت كي يخطف روحه النتنة..

لكنني لا أملك شيئاً غير الصمت..

استمر بمراسلاته لي على الهاتف, واستمررت أنا في صمتي

وعدم ردي..

حتى أتى ذلك اليوم الذي أرسل لي فيه جزء قصير جداً من مقطع الفيديو الذي صوره لي أثناء اغتصابه لي.. كنوع من التذكير والترهيب..

بكيت كثيراً.. حتى احمرت عيناي.. كنت خائفة ومترددة ما بين إبلاغ الشرطة, وردة فعل الحقير تجاهي عندما يعلم ذلك، خصوصاً أنه هددني بنشر المقطع كاملا في حال تسجيلي لأي بلاغ رسمي..

فكرت في إخواني.. في أحمد.. ولكن ماذا سأقول لهم؟ وكيف ستكون ردة فعلهم تجاه حديثي, التي حتماً ستكون وخيمة.. وليست في صالحي..

لذلك اخترت الصمت ومجاراته بالكتابة لعل وعسى أن أجد حلاً..

- نعم.. ماذا تريد؟

- أخيراااااً.. أريدكِ..

- أرجوك احذف المقطع ويكفي ما حصل..

- سأحذفه.. ولكن بشرط.. أريدكِ.. بالحلال..

- نعممم؟

- نتزوج.. زواج مسيار(1).. إنني معجب ومغرم بكِ.. أقصد بجسدكِ.

شعرت بأن صفعات الصدمات تنهال عليّ بشكل متتابع.. لن تتوقف..

لقد تعبت حقاً.. مللت البكاء, ومن آلام عيني التي لم تهنأ بالنوم منذ أن دخلت إلى غرفة الحقيرة خديجة.. الحقيرة التي تهددني بأدلة تفيد بتورطي معهم بأمور تهدد أمن الدولة, وهذا الملعون.. كان يحدثني بجدية, بأنه سوف ينشر فضيحتي على الملأ..

اتصلت هذه المرة على أخي أحمد من دون شعور..

أريد شخصاً قريباً مني كي يسمعني..

كان الخط مفتوحاً.. رد على اتصالي أخيراً من ثالث مرة:

- أهلاً روان.. كيف حالكِ..

صمت قليلاً وتمالكت دموعي:

- أهلا أحمد.. لقد اشتقت إليكم جميعاً.. لماذا لا تسألون عن أختكم الوحيدة؟

- معكِ حق أختي.. لكن الدنيا وأشغالها.. هل تحتاجين الى

مال؟

- وهل المال كل شيء؟ لقد مللت الجلوس هنا, أريد أن أزوركم في أقرب فرصة.

- ها.. سأسافر غداً مع العمل ولن أكون متفرغاً أبداً هذه الفترة..

- حسناً.. حسناً.. كل التوفيق لك بحياتك..

- آسف روان لدي مكالمة بالانتظار مهمة جداً.. سأتصل بكِ بعد فراغي.

- إلى اللقاء يا أخي..

حزنت كثيراً من طريقته معي, على الرغم من توقعي لإجاباته.. أعلم جيداً أنه لن يعاود الاتصال.. هكذا معظمنا.. إذا أراد أن ينهي المكالمة.. تحجج بأي عذر, ثم يخبرنا بأنه سوف يعاود الاتصال, ويختفي بعدها وكأنه حبة ملح ذابت وسط بركة ماء..

كنت أريد الخروج كي أتنفس قليلاً.. لم أتمش بجدة أبداً منذ وصولي إليها..

ولم أر بحرها الشهير.. ولا حتى مولاتها ولا شوارعها المزدحمة.. كل ذلك بسبب تلك القوانين الصارمة الخاصة

بهذا السكن المشؤوم..

حتى هاتفي.. أصبحت أكره التصفح فيه.. خوفاً من رؤيتي لرسائل ذلك اللعين..

أنا مدمرة جداً.. إلى الآن لم أستوعب أن عذريتي قد انتهكت!

ليست عذريتي فحسب.. بل حتى أحلامي.. ومستقبلي الدراسي حينها..

حل على بالي المشوش.. حبيبي الذي تعلمت منه الحب منذ صغري..

تعلمت منه اللعب بالأحجار.. حتى كرة القدم.. كان هلالياً متعصباً، وعلمني حب الهلال.. تعلمت منه الضحك.. الركض خلف سيارات المبيدات الحشرية.. خالد.. ليتك قاومت جبروت عادات قبيلتي الغبية..

وصمدت أمام جهلهم وطغيانهم على المشاعر.. ولم تتركني هكذا..

لا أريد سوى رؤيتك، ولن أتردد حينها بالارتماء تحت طاعتك..

أنا غاضبة منك.. بل إنني أردد كاذبة كلما تذكرتك بصوت

مرتفع.. لن أسامحك..

لأنه ببساطة.. هناك شيء ما بداخلي يبطن لك عكس ما أنطق..

لو أنك معي لما وقعت بهذا الوحل.. لو أنك زوجي الآن لما كنت الآن وسط غياهب هذه الجماعة المجنونة, ولما كنت أمام هذين الخيارين السيئين جداً..

الزواج بطريقة لا يتقبلها القلب ولا العقل.. أو الفضيحة في مجتمع لا يسمح بنشوء أي بوادر أعذار لما قد تقع به امرأة في مأزق.. كنت أفكر بهذه الأمور مراراً..

وأردد بعدها: آآآخ يا رب.. ماذا تنتظر كي تتدخل لإنقاذي؟

وما الأسباب التي تستطيع فتاة ضعيفة مثلي اتخاذها كي تتحقق إرادتك؟

قاطعت خديجة سرحاني وتوهاني:

- صلاة الفجر..

قلت بنفسي من دون أن تسمعني.. لا أعلم ماذا تستفيدين من الصلاة..

طالما أنها لا تنهاكِ عن معتقداتكِ الدامية وأخلاقكِ البائسة؟

صليت الفجر ودعوت كثيراً.. ومر اليوم مثل كل يوم.. تفكير, قلق, سهر, ونوم قليل جداً لا يزيدني سوى إرهاقاً..

أيام عديدة حتى تلقيت اتصالا من أخي أحمد.. يخبرني بأنه في جدة ويرغب بزيارتي.. وسيحضر بعد العصر كي يأخذني..

يااااه.. سألت نفسي.. هل فعلاً لي إخوة؟ هل حن على أخته أخيراً؟

لبست وانتظرته متحمسة.. حتى اتصل بعد أن قدم طلبه لإدارة السكن بصفته ولي الأمر المخول باصطحابي خارج السكن.. لأول مرة أخرج من السكن بتوقيت ليس له علاقة بالدوام التعليمي.. ركبت السيارة ووضعت يدي على كتفه باستحياء كي أضع خدي على خده كنوع من السلام.. لكنه ابتعد حياء منه وصافحني فقط:

- كيف حالكِ.. اشتقنا لكِ..

- الحمد الله أنا من اشتقت لكم كثيراً ومللت من هذا السجن..

- هي رغبتكِ.. هل نسيتِ؟

- لا لا.. أريد أن أرى جدة الآن وأن أتنفس..

أخذنا الحديث العادي جداً حتى وصلنا إلى أحد المقاهي الجميلة بشارع التحلية الشهير هناك.. ونزلنا.. طلب لي وله الشاي, من دون أن يسألني ماذا أحب أن أشرب..

ابتسمت.. فلا يوجد شيء يستحق الحزن.. أردت وقتها أن أستغل كل لحظة أقضيها خارج السكن.. ارتشف رشفة من الشاي.. وقال بعد أن أخذ نفساً عميقاً:

- اتصل بي شخص يدعي ضياء يقول إنه من طرف صديقة لكِ بالسكن تدعى خديجة, ويريد أن يتقدم للزواج منكِ..

فوجئت.. ووقع كوب الشاي من يدي وتكسر وتناثر بالأرض..

الحقير.. كيف حصل على رقم أخي وكيف تجرأ على هذا الطلب؟

- ماذا بكِ.. كل من بالمقهى ينظرون إلينا أيتها الهمجية..

- ها..

لم أتفوه بكلمة واحدة.. نبضاتي تخفق بقوة.. وأسناني ترتعد قهراً, وحاولت أن أداري ذلك بالضغط عليها.. حتى يختفي صوت ضرباتها..

أتى النادل كي ينظف الزوبعة التي أحدثتها بالأرض,

وتمنيت لو أن يبدأ بتنظيف ما بداخلي من شوائب وارتباكات وآلام..

- ماذا حصل يا روان؟ هل أحرجتُكِ بالخبر أم ماذا؟

- ها.. ها.. لا لا.. لا شيء..

- هو يريدكِ زوجة ولكن!

- ماذا؟ أعلم أنك لن توافق..

- ليس كذلك.. تكلمت مع إخواني لأنهما كما تعلمين أكبر مني.. واتفقنا على أن وجودكِ بالسكن يحدث لنا بعض القلق عليكِ.. فعليه وافقنا جميعاً على فكرة الزواج الـ...

لم يكمل.. لأنني لم أسمح له بإكمال حديثه.. كيف يوافقون وهم لا يعرفون عنه شيئاً؟ وهم حتى لم يقوموا باستشارتي؟!.. لم أكن أملك عذراً, ولا حتى أي فكرة أريد أن أوصلها إلى أخي أحمد, إلى أن قال بكل هدوء وخجل, أعتقد أنه كان مصطنعاً بعض الشيء:

- هو لديه الكثير من الأعمال والتجارة.. لذلك يريدكِ بزواج المسيار..

نظرت إليه والصمت غطى كل ملامحي.. وكأنني تمثال وسط المقهى..

استمررت بالنظر إليه من دون أن أتفوه بكلمة.. واستمر هو بالنظر يميناً ويسارا..

لم يقوَ بالنظر إليّ أبداً.. فأنا أعلم أن كل هذا الإلحاح.. هو من زوجاتهم.. خصوصاً زوجة أخي أحمد التي يحبها جداً لدرجة التعلق بها والخضوع اليها,

والتي دائماً ما تهدده بالذهاب إلى بيت أهلها, لو أتى بي إلى منزلهم!

تزايد صمتي.. شعرت به عندما بدأ بالكلام, لكنني لم أستطع التركيز أبداً..

لا معه ولا حتى مع أحاديث الزبائن.. اختفت بأذني أصوات تصادم الفناجين وأصوات الملاعق وأصوات الضحكات بالطاولات التي على مقربة منّا..

امتعض من سكوتي.. أعلم أنه مهما توقع السبب, لن يستطيع توقع ما يحدث بداخل قلبي أو حتى الأفكار التي اقتحمت عقلي كالسيل المنهمر.. الأدلة التي يهددني بها ضياء مع خديجة, ولا أعلم ما مدى خطورتها من عدمه, أو مقطع فيديو اغتصابي الذي قد يتسبب في مقتلي من قبل إخواني أو أن أعيش مفضوحة ومنبوذة بقية حياتي, من قبل مجتمعي الذي لا يرحم..

واصل أعذاره الحقيرة التي استحالة أن تخرج من أفواه إخوان يحملون في بطاقاتهم أمام خانة الجنس كلمة (ذكر):

- ليس لديكِ أحد يا أختي, وكما تعلمين الكل مشغول بوظيفته وعائلته ومشاكل الحياة وضغوطاتها.. وأعتقد أن الزواج بهذه الطريقة سوف يساعدكِ على تحقيق حلمكِ بإكمال دراستكِ وكذلك بالحصول على المال من زوجكِ..

قاطعته بعد أن ضربت بيديّ على الطاولة:

- يكفي.. أحمد.. أريد العودة إلى السكن, وقم أنت بما تراه وإخوتك مناسباً.

ثم أكملت صمتي.. للأسف.. لم أستمتع حتى بهذا اليوم الذي ظننته مميزاً, وسيساعدني على الهدوء قليلاً, هذا قدري.. اكتئاب وقلق دائمين..

عدت إلى السكن هادئة.. لم أقل كلمة واحدة لأحمد عند نزولي من سيارته..

حتى أنني لم أرد عليه قوله وداعاً..

دخلت غرفتي وسط نظرات خديجة.. التي كانت جالسة خلف جهاز الحاسوب الخاص بها, المزود بالكاميرا.. والذي لا أعلم كيف أدخلته هو وأجهزتها الأخرى..

خلعت عباءتي وتلحفت فراشي بنفس ملابسي.. ثم نمت مباشرة..

النوم أحياناً أسهل طريقة للهروب من الواقع المرير..

أصبحت الأيام مكررة بالنسبة لي لدرجة لا تطاق.. حزن وتفكير وتهديدات مستمرة.. شعرت حينها بأنني فعلاً وحيدة.. وبدأت أنظر إلى تهديدات ذلك الحقير.. خصوصاً أنه بدأ بإقناعي بأن الزواج ستكون مدته ستة أشهر فقط.. وبعدها سيحذف المقطع كاملاً وكل الأدلة التي تشير بتورطي بالعمل معهم, ثم سيطلق سراحي.. وكرر كثيراً أنه سيقسم على المصحف بكل هذه الوعود..

مرت الأيام.. إلى أن تلقيت اتصالاً من أخي أحمد يسألني عن قراري..

أعلم جيداً أن زوجته سيدة الحسن هي من تكرر عليه الموضوع كثيراً، وتدفعه بالاتصال عليّ, كي تتخلص من سيرتي بمنزلهم..

أخبرني أحمد بأنه وأخواه اتفقوا مجدداً على أنه لا مانع لديهم من زواجي، وأنهم سوف يخصصون لي مبلغ ألف ريال شهرياً, كي يجدون لي مسكناً خاصاً قريباً من الجامعة, يأتي إليّ به كما يقول زوجي الشرعي متى ما أردت ذلك, وأنهم

قد سألوا أحد مشايخ الدين بخصوص ذلك ويرى أنه من الحلال ولا مانع به أبداً.. ثم أكمل مبرراً بوقاحة.. بأنه وأخواه يريدون أن يطمئنوا على وضعي.. خصوصاً أنني أختهم الوحيدة، من امرأة أخرى لم يرضوا بها يوماً, وأمانة كبيرة تركها والدنا لهم, ثم ختم.. كلنا نرى ذلك يا روان, فهذا أفضل لكِ وأكثر طمأنينة لنا..

صمت عندها لدقائق بكل تبلد ولم أذرف دمعة واحدة ثم أجبته:

- موافقة!

- ماذا؟ أحقاً روان؟

- قلت لك بأنني موافقة..

- ألف مبروك.. سوف أخبر ضياء بذلك, وسأصل إلى جدة الخميس المقبل كي أقوم بالترتيبات للسكن مع أخي فايز, وسآخذكِ يوم الأحد بعد أن أنهي ترتيبات خروجكِ من السكن, ومن ثم نعقد القران لدى مأذون أعرفه, اتفقنا؟

- اتفقنا.

أراد أن يكمل حديثه وهو في قمة السعادة..

لكنني أنهيت المكالمة لأول مرة بحياتي بوجهه, ولم أدعه

يكمل..

ونعم الأخوة.. أغرتهم الدنيا ولم يمسح الزمن حقدهم من زواج والدهم بأمي.. لم يتعاملوا معي أبداً كأختهم وشرفهم.. ولكن لم تعد تفرق معي، بعد ما فعله بي ذلك القذر..

كل ما أريده منه.. أن أحصل على ثمن حريتي من خلال القليل من عبوديتي!

لم أكن أعلم أن ما أفعله صحيحاً أو لا.. فقط أردت المحاولة..

للأسف، تلك هي الحقيقة.. اللعنة.. مسيارا! اللعنة.. اللعنة عليها من حقيقة..

إنها شرعنة للجنس، بحجة وجود ذلك بين صفحات موروثنا الإسلامي!

لم أستصغ ذلك أبداً.. لكنني أجد نفسي مضطرة للقبول وأنا مكسورة القلب..

لن أغفر لإخواني، ولن أغفر لمن أباح تلك الطرق بالزيجات في هذا العصر..

ولأنني لا أريد لذلك اليوم أن يأتي.. مرت اللحظات كالبرق..

هكذا هي الأشياء التي تخيفنا.. تختصر وقت الانتظار

بسرعة غريبة..

أما اللحظات السعيدة.. فتتثاقل خطواتها.. مثل السلحفاة البرية..

المهم.. حضر ذلك اليوم اللعين..

حزمت حقيبتي الصغيرة التي لا أملك غيرها.. وودعتني خديجة باستفزاز واستهزاء قائلة:

- جعله الله في موازين حسناتكِ يا رفيقة..

طبقت شفتي على بعضهما, ورددت عليها بداخلي من دون أن تسمع:

- سأترحم عليكِ يوماً بعد أن تكون نهايتكِ على يدي!

ثم سحبت حقيبتي إلى الخارج..

قبل أن أخرج صادفت مريم.. طالبة بسيطة.. حزنت على خروجي كثيراً..

على الرغم من أننا لم نتحدث كثيراً بالأيام التي قضيتها بالسكن..

ودّعتني.. وتمنت لي التوفيق وأن نلتقي قريباً بالجامعة أو أي مكان آخر..

ثم كتبت لي رقم هاتفها بورقة صغيرة.. أخذتها منها وضعتها بحقيبتي..

ودّعتها وأنا أبتسم لها ولطيبة قلبها.. ثم خرجت من الباب..

وجدت أحمد وفايز بانتظاري كي يسوقاني إلى حتفي.. كما تُساق النعجة نحو القصاب.. ابتسامة كاذبة علت عليهما..

ركبت معهما من دون أن أبادر بالسلام أو حتى أن أرد بشيء..

وصلنا إلى الشقة القريبة التي وفرها لي إخواني.. في حي الجامعة الشعبي الشهير بجدة.. القريب جداً من جامعة الملك عبدالعزيز..

الكثير من الطلاب المغتربين عن أهاليهم يسكنون به, وكذلك الكثير من العمالة الوافدة.. لطالما سمعت عن المخالفات التي تحدث سراً بذلك الجزء الشعبي من الحي.. سواءً بتجارة الممنوعات أو غيرها..

دخلنا الشقة وسط ترحيب إخوتي.. شقة قديمة.. لا يستجيب لها الترميم من هول دمارها وقذارتها.. تفوح منها رائحة الديتول.. يبدو أنهم قاموا بتنظيفها قبل أن نصل إلى هنا.. تساءلت مع نفسي كيف يبدو شكلها قبل النظافة, خصوصاً أنها الآن لا تمت للنظافة بصلة!

كانت مكونة من صالة صغيرة جداً, بها ثلاثة كراسٍ بلاستيكية بيضاء متسخة, وطاولة, وحمام صغير يشترك معه مغسلة طويلة مستطيلة وضعوا تحته موقد صغير للطبخ.. فهمت من ذلك بأنه المطبخ.. وغرفة نوم ضيقة وضعوا بها سريرا لشخصين من غير فراش! وتلفاز صغير جداً, وجهاز تبريد مستعمل..

كأنها شقة دعارة بكل ما تعنيه الكلمة!

تشبه تلك الشقق التي نشاهدها في الأفلام العربية القديمة.. وأنا هنا سيدة هذه الشقة!

من هذه المناظر بالشقة, شعرت بأن شيئاً من الكره والحقد حلّ فجأة بكل دواخلي على إخوتي, هذه المرة تمكن مني ذلك!

وكأن هناك شيئاً انقطع.. جعلني أجزم بأن ما بيننا انتهى.. وأنني هنا فقط من أجل نفسي.. كي أحررها وكي أنتقم.. لم أكن أعلم كيف سيحدث ذلك.. لكن بداخلي كان هناك صوت يحمل نبرة الانتقام.. بدأ بالتعالي شيئاً فشيئاً..

لحظات ثم سمعنا صوت طرق الباب..

فتح الباب أخي أحمد ورحب بهم..

كان السافل ضياء ومعه اثنين من أصدقائه أحدهما المأذون..

جلسوا ومن دون مقدمات بعد السلام.. فتح المأذون الكتاب.. الذي كما كان واضحاً بأنه أحد معارف أحمد.. وطلب بطاقات الشهود المدنية.. ثم سأل أخي أحمد وأخي فايز عن الموافقة, ومن ثم نطق بالشروط المتعارف عليها في هكذا زواج بعد أن كتبها:

- يا أختي.. ليس لكِ حق من هذا الرجل عند الزواج.. لا بالسكن ولا بالنفقة ولا حتى بالمبيت.. متى ما توافرت له الفرصة سيكون معكِ.. هل أنتِ موافقة؟

نظرت إلى إخواني وكل واحد منهما مشغول بالنظر إلى الأرض, وكأنهما ينتظران هذه اللحظات المهينة أن تمر بسرعة كي يغادرا..

ولم يلاحظ أحد من الحضور دموعي من خلف النقاب.. تذكرت والدتي ووالدي, ولم أجعل لصورتهما أن تكتمل في مخيّلتي, حتى لا أتردد بالقبول.. وقعت عيناي على عيني السافل ضياء وهو يسرح لحيته ويبتسم بنذالة.. تذكرت ذلك المشهد الشنيع.. يشبهه تماماً ولكن هذه المرة لا يدخن سيجارة.. ثم نطقت بصعوبة وألم:

- نعم أقبل.. موافقة.

انتهى كل شيء بسرعة, وقام أخي أحمد بإعطائي نسخة من مفتاح الشقة وأعطى لزوج الغفلة نسخة أخرى.. لمحته وهو يتسلم من ضياء ظرفا صغيرا, وتظاهرت بعدم الانتباه.. يبدو أنه مهري.. أو ثمني الرخيص كتعبير أبلغ..

خرج الجميع مباركين ومودعين.. ولم تقع عينا فايز وأحمد على عينيّ..

وقضيت ليلتي الأولى في البكاء بجانب ذلك القذر.. الذي لم يتردد بمحاولة تكرار

ما فعله بي بتلك الليلة المنكوبة, التي قلبت حياتي رأسا على عقب..

لكنني قاومته.. وطلبت منه أن يتركني وشأني على الأقل بهذه الأيام فقط..

# الجهاد الإلكتروني!!!

تركت الجامعة.. لأن نفسيتي لم تعد تتقبل شيئاً.. وكان يأتي إلى الشقة مرتين بالأسبوع كي يحضر لي بعض الأغراض والأطعمة التي تكفيني طوال الأسبوع, لأنه لم يكن يترك لي مفتاح الباب أبداً.. بعد أن أخذه مني.. خوفاً من هربي.. ولا حتى جهازي المحمول.. إلا في حضرته كان يعطيني إياه ويأخذه عندما يغادر.. لقد كان سجناً بكل ما تعنيه الكلمة.. لولا التلفاز الذي لا يوجد به سوى قنوات قليلة.. معظمها قنوات دين وشعر, بالإضافة إلى القنوات الحكومية المحلية, لكنت قد انتحرت من الضيق والملل.. ما يستفزني أنه كان يتواصل أمامي مع خديجة بخصوص العمل على إقناع بعض الفتيات وتجنيدهن بالذهاب إلى أراضي القتال بسورية والعراق!

وبين كل هذه الأمور، وكل ما يدور حولي، مازالت فكرة النجاة والحصول على الأدلة التي يهدداني بها حاضرة في تفكيري..

كان يقترب مني كثيراً بشكل مستفز, فأنا لا أطيق النظر إليه فكيف بالجلوس بقربه! يتحدث معي دائماً بثقة غريبة, ويخبرني عن نشاطاته بمواقع التواصل الاجتماعي وخصوصاً على تويتر..

أفشى لي سراً جعلني مصدومة لساعات!

لم يكن ليخبرني بسر هكذا, لولا أنه لم يتأكد كلياً بتمكنه من رقبتي تماماً..

وبأنني لا أشكل عليه أي خطر يذكر.. لذلك كان يتحدث بثقة وأمان..

لديه حساب على تويتر يحمل اسما مستعارا (أبو الدرداء)، يتجاوز متابعوه أكثر من مليوني متابع!

يغرد بتغريدات دينية.. وأحاديث ومقتطفات مبطنة تقدم على أنها إيمانيات!

سألته وأنا مستغربة:

- كيف ذلك؟ لماذا يتابعك كل هذا العدد الضخم؟

- استطعت من جمعهم خلال سنتين فقط.

- كيف ذلك؟ ما المغري بالحساب؟ ثم ما الفائدة من جمع هذه الأعداد؟

قال ضاحكاً:

- هذا الحساب وغيره من الحسابات بمثابة الكنز يا غبية!

- كنزا!.. كيف؟

- هذه الحسابات التي تجعلنا نستطيع بكل سهولة أن نبث أفكارنا بين أفراد المجتمع بكل سهولة.. من دون أن نتحرك من أماكننا.. لا نحتاج للسفر ولا لمجهود خارق.. فقط نغرد بأفكارنا بغلاف ديني تعوّد عليه عامة الشعب, وذلك بعد أن نضعها برفقة هاشتاقات سعودية(2) اجتماعية ورياضية يتواجد بها مئات الآلاف من الشباب والفتيات أغلبهم سعوديين, وعندها ستنطلي عليهم التغريدات وسيتقبلونها وسوف تدخل إلى كل منزل.. وبتكثيفها ستصبح مستساغة عند الغالبية, وإن لن تنجح بعضها, المؤكد بأنها ستحدث انقساماً وحوارات تنتهي بردود فعل متطرفة.

- وصل خبثكم لهذه الدرجة؟!

- احذري.. واختاري كلماتكِ.

نسيت بأني تجاوزت حدودي معه.. صحيح أني لا أطيق وجهه أو حتى طبقة صوته المستفزة.. ولكني وجدت نفسي استمع إلى حديثه بفضول.. ربما لغرابة ما كان يخبرني به.. لذلك.. حاولت أن أكون حذرة وأن أتعرف أكثر على ما يحمله هذا المجنون من أفكار.. تداركت غضبه ثم قلت له:

- حسناً.. حسناً.. لكن كل ما ذكرته ليس مبرر بحصولك على هذه القابلية لدرجة أنك جمعت أكثر من مليوني متابع!! كيف

حصل ذلك؟

- بفضل العديد من المشاهير.

- مشاهيرا!! مشاهير ماذا؟

- مشاهير الدين بمواقع التواصل الاجتماعي من الذين يؤمنون بفكرنا, أو حتى من قد يخالفونه.. تكون لديهم مصالح مشتركة معنا لصالح حزبهم الذي ينتمون إليه.. لذلك هم يختبئون خلف شخصيات متلونة لمصالحهم الشخصية, وكذلك حتى يجذبون الشباب إليهم بواسطة هذا المظهر المحبب.. يتم التنسيق بيننا وبين بعضهم بسرية تامة, بحيث يقومون بعمل إعادة تغريد (ريتويت) لتغريدات من حسابي مثلاً.. تحمل أحاديث ونصائح دينية جميلة، وعليه يرونها كل متابعيه الذين قد يصلون بحساب هذا الشيخ إلى أكثر من عشرة ملايين! وغالبيتهم من الشباب.. عندها يقومون بمتابعة حسابي الذي ظهر بحساب الشيخ الذي يثقون فيه ثقة عمياء.. لشهرته وصلاحه كما يرونه بالظاهر!

- مستحيييل!!! أيعقل ذلك؟ مشايخ من مشاهير تويتر يقومون بهكذا أمور.. أنت تكذب عليّ.. إن كنت صادقاً أعطني أمثلة؟

- ما الفائدة من أن أكذب عليكِ؟ هذه الحقيقة, ولن أذكر لكِ

أسراراً خطيرة كهذه.. هيا اذهبي وحضري العشاء من المواد الغذائية التي أحضرتها آخر مرة.

يا رب.. ما الذي أسمعه من هذا المجنون.. وما الذي يقوله؟ أيعقل أن يكون صادقاً؟

كيف تنطلي هذه الحيل على هذه الأعداد المليونية من الشباب والبنات؟

ولماذا أمثال هؤلاء المشايخ أصحاب الشعبية الكبيرة, يستغلون طهر الدين بتمرير قذاراتهم وأفكارهم المتطرفة إلى شباب بسيط.. وثق بهم وبمظهرهم الخارجي المتدين؟

لماذا المظاهر هي من تجذب الآخرين؟

كل من تنكّر بأدوات التدين.. يستطيع أن يتصدر؟

وكل من حاول تنوير الآخرين وبث بهم روح الإنسانية, ولم يحمل تلك الأدوات على شكله الخارجي, لا يلقى قبولاً إلا من القلة! بل إنهم قد ينساقون خلف تكفيره لو نشر أمثال هؤلاء من مدعي التدين, الاتهامات على مخالفهم!

شاهدت ذلك كثيراً من خلال تصفحي على موقع "تويتر".

ظلت هذه التساؤلات تدور برأسي.. ولم أجد إجابة عنها!

بعد فترة من هذا الزواج الناقص شكلاً وطعماً ومضموناً..

أتى أخي أحمد لزيارتي للاطمئنان عليّ.

فتح الباب بواسطة مفتاح, أخبرني بأنه يحتفظ بنسخة من الباب معه!

في البداية ظننت أنه ضياء, لكنه كان أحمد..

تساءلت: لماذا لم يطرق الباب؟ لقد فتحه من دون أي مقدمات!

علمت من هذا التصرف أنه على معرفة بما يفعله معي ضياء بعدم إعطائي مفتاح المنزل.. وكأنه يخشى هروبي.. لذلك اتفقا على ذلك.

وعلى الرغم ما كنت أحمله من كره بداخلي تجاهه, إلا أنني بكيت عند رؤيته..

كنت وحيدة بالشقة.. سألني عن ضياء.. فأخبرته بأنني لم أشاهده منذ أربعة أيام..

وأخبرته بأنني تركت الجامعة من التعب النفسي الذي أمر فيه.. لم يبد أي ردة فعل, وكأنه كان يعلم بحدوث ذلك.. مسكت يديه وفي لحظة بكاء هستيرية لا أعرف لماذا حلت عليّ فجأة.. طلبته متوسلة:

- أرجوك أخي أحمد.. لا أريد أن أبقى هنا دقيقة واحدة مع

هذا الحيوان..

ترك يديّ بقوة ثم هددني قائلا: لو كررت هذا الطلب ثانية سوف أقطع زياراتي لك! وطلب مني أن أتكيف مع هذه الحياة!

فالمرأة ليس لها سوى منزلها وهذا قدري كما يقول!

ثم غادر غاضباً وسط قهري ودموعي..

كرهت نفسي تلك الليلة.. تمنيت لو لم أفتح قلبي وأظهر له حقيقتي من الداخل..

تمنيت حقاً لو كنت قوية.. على الأقل أمامه..

لكن هذا هو العجز الداخلي.. مهما كتمنا بداخلنا أو حاولنا التصنع بالقوة..

لابد أن تأتي لحظة ونخر مستسلمين.. نبكي ونخرج كل ما بداخلنا دفعة واحدة..

مرت الأيام، وعلمت من ضياء أنه وبعض أفراد الجماعة.. قد اقتربوا من تجنيد خمسة شباب وفتاتين, جميعهم من بلدان عربية كالمغرب ومصر, للذهاب إلى تركيا!

ومن ثم إلى سورية للانخراط في القتال هناك!

فتيات! وفي ساحات القتال؟!

هذا المجنون أكاد أجزم بأنه يعاني من مرض لا أعلم ما هو!

ألم تكفهم الفتيات اللاتي يقعن تحت أيديهم من تلك المعارك الدموية, تحت مسمى السبايا!

ثم واصل:

- لكل شاب أجنِّده لهم أقبض ألفي دولار.. ولكل فتاة أربعة آلاف دولار..

- أليس ذلك مغرياً يا جميلتي؟ ما رأيكِ أن تذهبين.. فتاة جميلة وفاتنة مثلكِ قد يصل سعرها ستة آلاف دولار.. والأهم من هذا كله.. أنكِ سعودية!

قالها وهو يضحك ضحكة بشعة كوجهه البشع..

أردت أن أصفعه على وجهه.. لكنني فكرت بردة فعله قبل أن أقوم بفعلتي هذه..

لذلك قررت الصمت وعدم المبالاة.. وسألته سؤالا حيرني:

- من الذي يدفع لك هذه المبالغ؟

فأجابني ببرود:

- ليس ذلك من شأنكِ.

بعد مرور شهرين تقريباً، لاحظت تغييرا جذريا في علاقتنا معا.. ويرجع ذلك من كثرة أحاديثه معي..

كنت ألاحظ على شخصيته وضوح التناقض والتغيير المفاجئ!

كما لو أنه مصاب بانفصام..

أصبح يلاطفني من حين إلى آخر.. بخلاف السابق!

حتى أن مفرداته ليست كسابق عهده.. خصوصاً عندما يسألني قبل خروجه..

إن كنت أرغب بشيء معين! وفي كل مرة يخرج من عندي.. كان يصر على أن يودعني بقبلة على يدي.. لم يكن يروق ذلك لي أبداً.. وما أقلقني أكثر.. هو زياراته المتزايدة..

حتى وصل به الأمر إلى أن يزورني خمسة أيام بالأسبوع على غير عادته!

وعلى غير ما نص عليه هذا الزواج..

الصراحة.. لقد تعودت على وجوده.. لكنني لم أكن أسعد برؤيته..

ربما الخوف الذي تسببه وحدتي بشقة في حي يكتظ أغلبه بالعازبين وبالعمالة الوافدة، خصوصاً أصوات القطط

التي تتعارك ليلاً بين ممرات البنايات الخلفية. مواء مخيف بطريقة مرعبة يصدر منهم كل ليل.. عراك لا ينتهي.. يجعلني أرتعش.. ربما هذا ما يجعلني أتقبل وجوده قليلاً..

أصبح في كل مرة يأتي بها.. يثرثر كثيراً..

يفتح معي مواضيع من أجل الحديث فقط.. وبين كل قصة وأخرى..

يرميني بكلمات غزل!

وكأنه يريد أن يتقرب مني.. أصبحت أقلق كثيراً من تقلباته..

لذلك, كنت أتقبل غزله وأنا مضطرة!

أتقبل غزله السطحي الذي لا يثيرني أبداً.. وأستمع كذلك إلى حديثه الذي يتخلل غزله لي.. عن أمور الأمة والقتال بالشام والعراق وكيف تدار الأمور هناك..

حقاً حالتي يرثى لها.. ونعم الغزل!

كم كنت أكره خرفشة شعر لحيته المجعدة.. كلما لامسني, أو أراد تقبيلي..

ويغضب دائماً من ردة فعلي, كلما أحس بالقشعريرة التي تنتابني منه, وابتعادي الذي يحدث لا إرادياً عنه.. فيحدق بي

بنظرات مخيفة تحمل إشارات لي مفادها.. لماذا لا تريدينني؟

وفي الوقت نفسه, لا أقوى على أن أخبره السبب.. لأنني أعلم جيداً كيف سيكون تعامله الغليظ معي..

في كل ليلة، كنت أشعر بأن معي شخصاً آخرا!

شخصية مختلفة عن اليوم الذي قبله!

كان يطلب مني أشياء غريبة على غير العادة.. يطلب مني أن أرقص!

وأرفض.. يهددني بالضرب ويصرخ عليّ.. ثم يتردد ويطلب العفو وهو الذي يقوم بالرقص من دون موسيقى!

كان يأتي لي بملابس نادلات مطعم أو راقصات وحتى غجريات.. ويطلب مني أن ارتديها!

وكنت أرفض طبعاً وأصرخ عليه.. فيثور غضباً.. مكرراً: أنتِ حلالي..

لقد تعبت نفسيتي كثيراً.. وما أتعبني معه أنه أحياناً يصمت قليلاً.. ثم يهجم عليّ من دون سبب..

يشقق ملابسي.. يحاول أن يغتصب جسدي.. وأقاومه.. ثم يتوسل إليّ معتذراً.. وأنا لا أملك سوى البكاء.. والاستمرار بلعن إخواني.. وحالتي التي وصلت إليها.

تقلباته كانت تخيفني كثيراً.. حتى عندما ينام.. أسمع منه كلمات مخيفة وأحاديث تخص جرائم قتل وتوسلات لأناس مجهولة بأن يتركوه وشأنه..

وعندما يستيقظ مذعوراً من نومه كان يحتضنني ويصرخ اقتربي.. اقتربي..

وأنا أتصبب عرقاً من الخوف.. ونبضات قلبي تتسارع.. تنتظر أن يعتقني..

لا أنسى ذلك اليوم.. الذي تهجم عليّ فيه وشقق قميصي الذي كنت أرتديه..

ثم اختفى بعدها ثلاثة أيام كاملة.. ثم أتى إليّ والشوق يتطاير من وجهه..

قدم لي هدية!

قال لي إنها بداية طرح لثقة متبادلة بين الطرفين..

قدم لي هاتفا محمولا جديدا!

ثم قال:

- صحيح أن زواجنا مسيار.. زواج منفعة جسدية.. لكن يبدو أنه أصبح أكثر من ذلك!

- أكثر من ذلك! ماذا تقصد؟

- سيأتي الوقت الذي أخبركِ بما يدور بداخلي!

- لا أريد منك شيئاً.. سوى أن تبتعد عني إلى تنتهي المدة التي بيننا كما اتفقنا..

اشتاط غضباً فجأة.. ثم أمسك بشعري بقوة.. وقال بصوت منخفض بعدما اقترب من أذني:

- إياكِ أن تكرري هذا الحديث معي!

علمت بعدها أنه يخطط للغدر بالاتفاق الذي بيننا..

ابتعد قليلاً, ثم هذب شعري.. وقال مبتسماً:

- بهذا الهاتف يوجد برنامج تويتر.. أنشأت لكِ حسابا جديدا, أسميته بعد تفكير بـ"الشيخة روان"! سأدعمه لكِ بالنشر من خلال حسابي وحسابات بعض المشايخ الذين نثق بهم.. أريدكِ أن تفعلي مثلي.. وعندما يصبح عدد المتابعين لكِ بمئات الآلاف.. تستطيعين أن تبدئين بقبول الإعلانات عن حسابات أخرى تحتاج إلى تزكية أمام متابعي حساباتنا, وذلك بمقابل مادي جيد.. ستنشرين الخير.. وستستفيدين أيضاً من المال..

- يا سلام.. ومنذ متى كان الخير بمقابل مادي؟!

- الكل يفعل ذلك.. حتى المشايخ الذين أخبرتكِ عنهم.. يقبضون آلاف الريالات لنشر إعلانات بطرق غير مباشرة ولتزكية شخصيات بالمتابعة..

- لا أحتاج هديتك.. لن أتاجر بالدين أبداً.. ولن أنشر الضلال الذي تعتنقه.

- ما رأيكِ بنشر مقاطع جسدكِ إذاً؟ (قالها غاضباً).

صمت.. ثم بلعت لعابي الذي تجمع تحت لساني أثناء صمتي.. ثم قال متداركاً:

- أمزح.. أمزح معكِ يا جميلتي, لكنكِ تستفزينني أحياناً..

تمتمت بداخلي بعد أن أزحت نظري عنه.. أيها الأحمق.. فالملوث فكرياً.. يبقى ملوثا فكرياً.. حتى وإن تطهر من الخارج..

أيقنت أنه من الصعب التعامل معه.. كلما ناقشته أو عاندته أو رفضت شيئاً..

تخلى عن طيبته المتقلبة وعاد يهددني من جديد بالفضيحة التي يمسكها عليّ..

مشكلتي أنني أخاف الفضيحة.. لدرجة أنني أرفض رفضاً تاماً مجرد التفكير من التوجه لإبلاغ الجهات الرسمية.. وهذا

كان خطأ فادحا مني كلفني الكثير.. كنت أحدث نفسي بأنني لا أملك إلا الصبر.. وسأصبر حتى أتخلص من هذه الأثقال التي أتعبت ظهري..

قبلت منه الهدية على مضض.. كي يغلق الموضوع ويبتعد عني.. رائحة المسك التي تفوح منه باستمرار, أصابتني بالغثيان والصداع..

ابتعد.. ثم تمدد وأغمض عينيه كي ينام قليلاً..

فتحت هاتفي الجديد.. ودخلت إلى تويتر الذي يقول.. كي استكشف وآخذ فكرة عما ذكره لي.. بالفعل كان الحساب تحت اسمي المستعار.. "الشيخة روان"!

شيخة ماذا؟ يا للخيبة.. ولكن.. لفت نظري شيء غريب.. وهو أن المتابعين قرابة الستين ألفاً! ولا يوجد فقط سوى عشر تغريدات, كلها تحتوي على أذكار الصباح والمساء!

أصبح لديّ شغف لمعرفة دهاليز هذه التجارة المتسترة خلف رداء الدين..

تجارة فكر.. ومال.. وبشرا!

يبدو أنه الجهاد نفسه الذي أخبرتني عنه سابقاً سيئة الذكر خديجة..

قرابة الشهرين فقط.. اكتمل عدد المتابعين لديّ لخمسمئة ألف متابع.. نصف مليون!

لم تصدق عيناي أبداً.. حساب متفاعل لأبعد درجة!

أخبرني في أحد الأيام بالمشاركة الضرورية بالهاشتاقات التي تخص مجتمعنا بالتحديد.. وبأنه سيدخل من هاتفه ويغرد من خلال حسابي.. وأن أكتفي فقط بمراقبته كي أتعلم منه, وأكون مسؤولة على استقبال الإعلانات وتبادل التغريدات مع الحسابات المتعاونة ذات الشعبية الكبيرة.. المؤمنة بدولة الخلافة كما يقول!

حملة منظمة وخطيرة ودقيقة تجاه الشعوب الخليجية, خصوصاً الشعب السعودي!

شعرت بدوار.. بلوعة تجتاح بلعومي ومعدتي.. هل أنا أحلم؟ أم أنني أعيش حقيقة مُرة؟ هل فعلاً سيتركونني؟ أم أنني غرقت أكثر من قبل؟

أعلم أنني كنت أغرق.. لكنني أتجاهل واقعي كي لا أفقد قوتي الهشة..

الحساب يدس السم بالعسل.. والقطيع الذي يتابعني ينساق خلف التغريدات من دون تفكيرا أذكار.. أدعية.. قصص صحابة.. وبينها فتاوى مبتورة تنصب في مصلحتهم..

أحاديث ضعيفة تتصدر.. وآيات تفسر في غير موضعها!

والمتابعون يعيدون التغريد ويضعون التفضيل.. ويغردون بالدعاء للشيخة روان!

كل يوم يزداد الحساب قذارة.. ويزداد ضياء تقرباً.. بالغزل والعطف بشكل مريب!

كلما سألته:

- هل أنت داعشي حقاً؟

كان يرفض هذا الوصف ويغضب! ويقول:

- لا.. أنا سمسار.. أدعمهم بما يعود عليّ بالمنفعة.. حتى وإن وافقتهم فكرياً، إلا أنني لست أحمقَ وغبياً كي أنضم إلى ساحات القتال! أنا موقعي خلف الكواليس.. حيث الأمان.. والمال.. والعلاقات.. حالياً كونت تجارتي الخاصة.. لديّ العديد من المحلات التجارية والمال وبعض العقارات، كل هذا من وراء السمسرة فقط..

- إذاً أنت شخصية نافذة لديهم كما تريد أن توضح لي؟!

- لا.. أنا مجهول بينهم.. وليس هناك ما يدينني معهم.. فقط أجمع المال.. وهم يجمعون القتلى.. هذه الصفة تنطبق على خديجة وغيرها.. عند حدوث هذه الأزمات.. الكل يستفيد

من الكل! كل التجارة تنتعش.. التجارة القذرة! سوق النفط السوداء, المتاجرة بالبشر, حتى بالنساء والأطفال وكذلك المتاجرة بالأعضاء.. بالأسلحة.. وبكل شيء.. أصبحت سمساراً لديهم من أجل كسب الدولارات التي تكفيني مدى الحياة! قبل أن يظهروا، كنت عاطلاً عن العمل.. وبعد ظهورهم، أصبحت أملك رأس مال لا يملكه موظف حكومي قضى ثلاثين سنة من عمره في وظيفته!

قلت له من غير إرادة وأنا غاضبة بعدما شعرت بالغيرة:

- لكنك يا ضياء تخون الوطن!

- وطن.. هاااا! لا توجد كلمة وطن في منهجنا الذي نتبعه.. كلها مصطلحات غربية جلبها المستعمر.. أمثالي وطنهم الدولار.. أين الوطن الذي تقولين؟ أين الوطن عني عندما كنت عاطلاً؟! أم أنها شعارات فقط؟!

- لا بالطبع.. الوطن هو الذي ولدت والدتك على ترابه، ومن ثم عاشت وترعرعت إلى أن كبرت, ومن ثم ولدتك على نفس الأرض.. وسمعت أول صرخاتك عليه.. الوطن الذي تغذت أراضيه بدماء أجدادنا دفاعاً عنه.. مهما حصل من منعطفات.. الفقر ليس مبرراً لخيانة الوطن.. فكم من ثري قد خان وطنه.. هي طباع من لا قلب له.. من لا ضمير له ولا نخوة..

نظر إليّ وظننت من نظراته أنه تأثر من حديثي.. ثم قال ببرود:

- اصمتي.. كي تنامين الليلة من دون كدمات.

علمت من رده أنه أحمق ومكابر ومتقلب المزاج، وأن المال قد أعمى بصيرته..

لذلك سأصمت.. كي أنام دون كدمات كما هددني..وسأسعى للخلاص مهما حاول معي..

فكرت بيني وبين نفسي.. أنا أنثى وهو شاب كبقية معظم الشباب..

ينساق وراء دلع كل أنثى.. ليس لديّ ما أخسره!

لماذا لا أجاريه الحديث.. وأظهر له بعض المودة! كي أستميل قلبه وأكسب تعاطفه وثقته.. ومن ثم أحصل على ما أريد.. حريتي؟!

لم أصدق ما بدأت التفكير به! هل سأتقرب عاطفياً من داعشي؟

حتى وإن ادعى أنه ليس كذلك.. مجرد التعامل معهم ودعمهم ضد وطنه يجعله أمام الوطن والقانون شخصا مذنبا.. وقد يلقى الجزاء نفسه الذي يستحقونه، لأنه أيدهم

ودعمهم.. إذاً هو مثلهم تماماً.

حاولت أن أهتم بشكلي قليلاً.. لكنني لم أستطع أن أفعل ذلك أمامه..

لم أسرح شعري وألقي خصلة ناعمة على جهة اليمين كما تعودت سابقاً..

ولم أضع الروج الأحمر منذ أن وقعت بينهم.. رغم أن هذا اللون كفيل بأن يُخضع كل رجل أحمق.. حتى وإن كان متشدداً!

لم أهتم بالملابس التي أرتديها.. فقط مشطت شعري قليلاً وارتديت قميصاً لم أرتده من قبل, ووضعت بعض العطر من أجل نفسي وليس من أجل ذلك النذل..

رائحة العطر الجميلة.. لقد نسيت رائحتها منذ فترة.. حتى الاستحمام.. بعدما كنت أقوم به يومياً.. أصبح مرة في الأسبوع.. لقد كرهت كل شيء.. لم يعد يهمني أي شيء.. حتى أذكر أنني اقتربت من نسيان معنى أن أكون أنثى!

عندما نظر إليّ في المرة الأولى.. لاحظ التغيير الذي طرأ عليّ..

ابتسم وكأنه شاهد فتاة جديدة.. قال لي وهو مرتبك

قليلاً.. أنتِ جميلة..

وتصنعت بملامحي ابتسامة.. وكأنني أخبره بأنني ممتنة لكلامه..

الأحمق خرّ مسرعاً..

مرت الأيام على هذه الحال.. واستمر بالتقرب كثيراً.. حتى شعرتُ بتعلقه بي!

نعم.. تعلق كثيراً.. حتى قال لي يوما:

- أعتقد أنني أصبحت أحبكِ! بل أنا متأكد.. لقد وقعت بحبكِ روان!

لقد صدمني.. وعلى الرغم من أنني كرهتها من فمه.. إلا أنني فرحت كثيراً بنجاحي في ذلك.. لقد نجحت من خلال الخطة الشهيرة التي تقول:

(خير وسيلة للدفاع هي الهجوم).

لقد هجمت عليه من خلال نقطة ضعفه.. من خلال ملذاته القذرة التي دفعته بأن يغتصبني ويدمر عذريتي.. ويصورني.. ويتجرأ بعد ذلك بالزواج مني بطريقة غير محترمة..

لم أتردد أبداً بإكمال ما وصلت إليه من مرحلة..

بل إنني أصبحت من أبادر بالاقتراب منه! كنت أعاني كثيراً وأضغط على نفسي وعلى قلبي المقهور وأخفي كل هذا ببعض الكلمات الغزلية..

مر شهر تقريباً وخلال هذا الشهر فقط.. كنت أشاهده وهو يجمع المال من خلال إعلانات حسابي في تويتر.. ويعدني بأنه سيعطيني حصة من هذا المال قريباً..

أصبح لي محبون ومتابعون ومتأثرون.. لأنني في نظرهم.. المرأة الصالحة..

فهمت من كل هذه الترتيبات..

بأن ما أقوم به هو نوع جديد وحديث من أنواع الجهاد!

نعم جهاد.. يسمى الجهاد الإلكتروني(3)!

معظم من يقف خلف هذه المعرفات في تويتر هم نساء! والقليل منهم رجال..

حتى أن بعض الرجال يفضل التخفي وراء أسماء نساء..

كنوع من التمويه والتحفظ الأمني..

هدفهم واضح من هذا كله, هم يستهدفون الفتيات من أجل تجنيدهم في أعمال لوجستية وأعمال قد تصل إلى

عمليات انتحارية!

الفتيات العراقيات والسوريات أسهل الأهداف لديهن.. كما أخبرني ضياء..

سألته متعجبة:

- لماذا بالذات؟

أجابني وهو يقضم أظافر يده بفمه منهمكاً:

- أولاً، لأنهن بداخل ساحات القتال, فلا نواجه صعوبة تهريبهن من دول خارجية، كما يحدث مع الفتيات التونسيات مثلاً, وثانياً والأهم أنهن نساء مقهورات! ومدمرات نفسياً!

- مقهورات؟ ماذا تقصد وما المفرح في ذلك؟

- غبية.. هذه القهر نابع إما بفقد زوج أو ابن أو عائلة بأكملها من جراء الحروب الدائرة في بلدانهم.. وعليه نستغل حاجاتهم المادية أو حالاتهم النفسية من أجل إغرائهن بالانضمام الى صفوف المقاتلين.. مشعلين في قلوبهن نار الانتقام.

- يا ساتر.. وما المهمات التي تنتظرهن معكم وهن نساء؟

- الرجال المقاتلون هناك يحتاجون إلى من يطبخ لهم الطعام ومن ينظف لهم المكان ويحتاجون إلى الجنس!

- إذاً تكذبون! تستدرجونهن ثم تستعبدونهن!

- ماذا تنتظر المرأة في معركة ذكورية؟ هذا نوع من الجهاد.. ليس شرطاً أن يحملن السلاح.. هن لديهن أعمال أرقى وأسمى.. تجهيز المجاهدين نفسياً.

- قلت قبل قليل الجنس! كيف ذلك؟

- بالزواج طبعاً.. جهاد النكاح يا حلوتي.. أشبه بزواجنا.. لكنه أسمى وأكثر أجراً!

السافل.. لذتهم في استعباد المرأة.. ولذلك ابتكروا اختراعاتهم العصرية وأحضروها من تحت أنقاض موروثهم الديني وبدأوا بتطبيقها إشباعاً لرغباتهم!

الحقيقة.. لا أعلم كيف يستطيعون فعل كل هذا!

فهم يسعون لدمار وطنهم.. من أجل فكرة دينية! من أجل اختلافات معظمها بالمتغيرات لا بالثوابت.. هم يرددون دائماً أن ما يقومون به هو نصرة للدين!

والحقيقة أنه نصرة لمعتقداتهم فقط.. وإن كان صحيحاً ما يقولونه..

لماذا هذا التعلق السافر بملذات الدنيا؟ لماذا يلهثون وراء المال؟

لماذا كلما قاموا بغزو قرية وفرغوا من تدميرها.. يبحثون عن المرأة كمكافأة؟

وإن كانوا يؤمنون بأن الحوريات في انتظارهم بالجنة.. فلماذا يبحثون عن جسدها بهذه الشراهة في الدنيا؟ تحت مسمى السبايا..

أين نصرة الدين الذي يدّعون من هذا كله.. عجزت أن أفهمهم..

أخبرني بأن بعضا من الفتيات يعرضن أنفسهن للانضمام الى المقاتلين..

حباً في الجهاد, ومعظم الفتيات يوافقن مجبورات.. خوفاً من التحرش أو الاغتصاب أو حتى القتل.. على الأقل فإنها بهذا الزواج الشرعي في شكله طبعاً, تجد من تحتمي بظهره في وجوه الذكور هناك..

ما أدهشني هو عندما أخبرني والحماس يتطاير من عينيه.. بأن الهدف الأقوى لهم هو جذب الفتيات الخليجيات خصوصاً السعوديات!

يرى ضياء ومن خلفه أن الفتاة السعودية هي الأكثر تأثيراً شكلاً ومضموناً في حال الإعلان بانضمامها إلى جماعتهم

الإرهابية!

تماماً كما هي كتيبة الخنساء(4) الشهيرة على حد قوله!

سألته بعدما أحسست بالألم في رأسي من عجزي على الفهم:

- كيف ذلك؟

- المقاتل السعودي أكبر دعاية للجماعة.. فمجرد أن تذكري الجنسية السعودية فسوف يتبادر إلى ذهن المسلم البسيط الحرمين المكي والمدني.. سوف يحضر في ذهنه قبر الرسول وكذلك الكعبة.. تلك أمور مقدسة لها وقعها العاطفي على نفسية المسلم.. وفي قلوب المسلمين المتابعين للحرب.. هذا مع الشاب.. فكيف لو كانت فتاة سعودية وتظهر أمامهم منتقبة وحاملة السلاح؟ أعتقد أنها أكثر تأثيراً من غيرها.. ومن مناظر كهذه.. سنكسب المزيد.. أفهمتِ ما أقصده؟

- للأسف فهمت.. تستغلون هذه المظاهر من أجل مكاسبكم الشخصية؟

- في الأخير كله لصالح الإسلام.. نحن نرفع راية الله هناك.. ولا مانع من التكسب المادي..

كعادتي صمت.. فماذا عساي أن أرد على هذا المريض فكرياً

وفطرياً..

هو بالأخير, لا يريد سوى حصته من وراء تجنيد الأبرياء لأهداف جماعته التي يرفض مجرد التفكير بالانضمام إليهم كمقاتل.

بعد أن أصبح حسابي بتويتر نشطاً و"تقياً" في نظر مئات الآلاف..

وصل إلى المليون متابع! من وراء دعمهم المستمر للحساب!

عندها.. قرر ضياء أن أبدأ في مهمتي الجديدة.. المهمة التي كانت كالصاعقة عليّ!

وهي بأن أقوم بنشر روابط فيديو لمقاطع جرائم تقوم بها جماعة داعش..

اغتيالات.. قطع رؤوس.. رجم فتيات.. وقطع أيادي وما إلى ذلك من جنون!

مرفقة بكلمات دينية في ظاهرها.. تستعطف مشاعرهم وتجذبهم للمشاهدة!

رفضت طبعاً بقوة.. وهددني كعادته أنه سيضطر لنشر فضيحتي بالمواقع الاجتماعية وإرسال أدلة تورطي معهم

إلى الجهات الأمنية بمعرفته..

لا إرادياً.. صرخت بوجهه وقلت له افعل ما تريد أن تفعله.. لن انصاع لك ولن أكون شريكة في جرائمكم بحق الوطن والبشرية.

تطاير الشرار من عينيه، ثم قال والغضب قد تشكل على ملامح وجهه البشع:

- وطن؟! لهجة جديدة يا روان.. وأمامي!

- أي لهجة؟

- لا وطن ولا دولة في قاموسنا الإسلامي.. احتفظي بتخلفكِ لنفسكِ وكوني فتاة مطيعة.. أنتِ زوجتي.. لا تنسين ذلك أبداً..

أردت أن أستغل عاطفته التي طرأت على شخصيته معي في الفترة الأخيرة, فتداركت الحديث:

- ضياء، أعلم أنك زوجي.. وقد أخبرتني بأنك تحبني.. فهل هناك شخص يجبر شخصاً يحبه على فعل ما لا يريد فعله؟ هل تقوى على كدري؟

تحولت ملامحه إلى الهدوء.. وانخفض حاجباه.. في الحقيقة كدت أضحك على منظره.. أيقنت وقتها بقدرة

النساء على ترويض الذكور والسيطرة على طغيانهم.. بكلمات رقيقة فقط.. قال متلعثماً:

- هاااا.. نعم أحبكِ.. وبالطبع لا أقبل.. حسناً.. حسناً.. سأوكل لكِ مهمة أخرى.. كي تصمت مطالبات الرفاق الذين ينتظرون تفاعل حسابكِ الذي دعموه منذ البداية.

- موافقة زوجي موافقة..

- حسناً.. سأعطيكِ حسابات معينة لفتيات سعوديات, أريد منكِ التواصل معهن على الخاص بتويتر.. وترسلين لهن بعض الأحاديث والآيات ومقاطع تعذيب لشباب ونساء قامت بها الجهات الأمنية للأنظمة بالعراق وسورية.. وكذلك العديد من صور شهدائنا مبتسمين ورافعين السبابة مستشهدين.. حصلنا عليها بطريقتنا.. كي تتأثر مشاعرهن.. وتخبرينني بكل التفاصيل وما مدى تجاوبهن ورغبتهن بالانضمام معنا من عدمه..

وافقت فوراً.. على الأقل كانت هذه المهمة أخف بكثير من تلك المصيبة التي كان يريد إشراكي بها.. ظننت أنها مهمة سهلة ومجرد أحاديث مع فتيات مراهقات.. ستنتهي مسرعاً.. لكنه كان غير ذلك تماماً..

للأسف أقولها بكل ألم..

إن هناك فتاتين من أصل عشر فتيات حددهم لي.. استجابتا لي.. وأكمل هو معهما الحوار بطريقته الخبيثة.. متظاهراً أمامهما بأنه أنا.. الشيخة روان..

تعلق بي أكثر, وأصبح يراني بأنني ذراعه اليمنى في كل ما يقوم به..

ظل يتواصل معهن من خلال هاتفي.. وبعد أسبوعين تقريباً.. جاءني مبشراً بعد أن ضمني بقوة وكأنه حصل على براءة اختراع سيغير البشرية:

- رواااااان حبيبتي.. نجحت.. لقد أقنعت واحدة من الفتاتين بالالتحاق بأبطالنا في الشام.. سوف يسعدون كثيراً بهذا الخبر وسوف نكبر في أعينهم حتماً وسنحصل على المكافأة..

دفعته بيدي ببطء ثم ابتسمت له.. كي يبعد ثم باركت له.. وأنا أعتصر ألماً من الداخل..

شعرت وقتها بتأنيب الضمير.. لقد ساهمت بتدمير مستقبل فتاة!

وسوف أكون المتسببة في سحق قلب أب أو أم أو إخوة.. أو عائلة بأكملها..

سألته ببرود, سؤال ظل يحيرني كثيراً عن الفتاة, ولماذا قبلت عرضاً كهذا.. فقال:

- لماذا تسألين؟

- كي أستفيد من طريقتك في إقناعهن.

ابتسم مسرعاً الأحمق.. ثم أخبرني:

- أخبرتني بأنها من عائلة متدينة, ومتوسطة الدخل, وبأنها مهتمة كثيراً بالقضية السورية, ومستاءة على حد وصفها من تخاذل الحكومات العربية كما كتبت لي.. الشيء الذي شجعني على عرض طلبي عليها بكل شجاعة.. هو استعراضها للفتاوى الشهيرة لقادة تنظيم القاعدة, التي تنص على تكفير حكام الخليج وعلى رأسهم حكام السعودية..

- يا ساااتر.. تكفيرهم! ما الذي تقوله أنت وأي عقلية تملك هذه؟

- لا تقفين عند كل جملة أقولها.. ستحتاجين لبعض الوقت كي تفهمي.. العرض الذي عرضته كان مغرياً لها.. أخبرتها بأن فتاة متدينة ومحتشمة مثلها وذات خلفية دينية عميقة.. تستحق أن تكون زوجة لأحد المجاهدين هناك.. وسوف يكون لها شأن كبير في دولة الخلافة.. على الرغم من أنها أخبرتني بأنها متزوجة.. إلا أنها وافقت

لأنها لا تريد أن تستمر مع زوجها الحالي الـذي لا يتوافـق مع طريقـة تفكيـرها.

- لكن كيف ستذهب إلى هناك من غير محرم؟ لن تستطيع ذلك..

- تستطيع بالتهريب.. لكن أخبرتني بأنها قريباً سترافق أخاها لقضاء أسبوع في تركيا بقصد الترفيه وحضوره لمؤتمر للطب النفسي هناك.. هذا سيختصر علينا عقبات كثيرة! لذلك سوف نلتقي بها.

لم استوعب جديته بالحديث.. ولم أصدق ما يقول.. قلت له وأنا مندهشة:

- تركيا!! وما دخل تركيا في الذهاب إلى الشام؟ ولماذا نذهب نحن إلى هناك؟

- أسهل طريق إلى ساحات القتال بالشام.. هي الحدود التركية أو اللبنانية الملاصقة لسورية.. لكن بتركيا أفضل وأكثر أماناً لقوة علاقاتنا بالقرب من الحدود هناك.. سواء من المعبر الحدودي أو غيره من الممرات.. سنلتقي بها هناك من دون أن يعلم أخوها وسنوصلها فوراً إلى المكان المقصود.. وسأحصل فوراً على المبلغ المتفق عليه وبالدولار يا حبيبتي.. (قالها ضاحكا)

أقولها وبكل أسى.. تعرفت على العديد من المجاهدات جهاداً إلكترونيا عبر أصدقاء ضياء الذين لا أعرف سوى أسمائهم المستعارة..

صعقت من حسابات الفتيات بتويترا!

فبدل من أن يضعن في صورة العرض لحسابهن صورة قطة ناعمة..

أو صورة مستعارة لممثلة شهيرة.. أو حتى لاعب كرة قدم.. كما يفعل معظم الفتيات اللاتي يقضين وقتهن بالترفيه والتسلية البسيطة.. كن يضعن صور نساء يحملن أسلحة! وبعضهن يضع شعار دولة الخلافة كما يزعمون (داعش) وأشياء كهذه!

لم أستوعب حتى الآن ما الطريقة التي تمكنت من تحويل أنوثة فتاة يكسوها الغنج والدلع.. إلى فتاة متعطشة للدماء كما يفعل مصاصو الدماء!؟

يتناقلن صور قطع الرؤوس وكما لو أنهن يتناقلن صورا لأصناف حلويات فاخرة, أو كعك صُنع من بسكويت اللوتس!

# ما بين الحدود..

# تماماً مثلما تحمله الألغاز بين الأسطر!

# ( رحلة تركيا )

تركيا! أنا سأذهب إلى هناك! شعرت حينها بأن هذا الكابوس الذي تورطت به رغماً عني لن ينتهي.. ولن أفيق منه قريباً.. وربما إلى بقية عمري! من يدري؟

حاولت كثيراً من عدم الذهاب معه إلى هناك..

إخواني.. لم يتصلوا بي.. قررت أن أتصل بأحمد كعادتي عند الحاجة..

طلبت هاتفي من ضياء كي أتصل بأخي أحمد.. متحججة بوجوب صلة الرحم..

هاتفي الذي سيطر عليه هذه الأيام.. رغم استطاعته الدخول على حسابي بتويتر من هاتفه, إلا أنه فضل أن يتواصل من هاتفي.. احتياطات أمنية كما يقول..

وافق.. ذهبت إلى غرفة النوم واتصلت به.. أجابني بأسلوب بارد بعد اتصالات متتالية:

- أهلا أختي روان.

- أهلاً أحمد.. اشتقت لكم.. كيف حالكم ألم تشتاقوا إليّ؟

- بالطبع اشتقنا، لكنها الدنيا وأشغالها..

- أخي لن أطيل بالمكالمة.. ضياء يريدني أن أرافقه إلى تركيا وأنا لا أريد.. أرجوك أريدك أن تأخذني فقط هذه المدة البسيطة للمكوث عندكم.. وأن تتحجج بأي عذر.. المهم ألا أذهب معه..

- تركيا! فرصة جميلة لكِ.. هو بالأخير زوجكِ شرعاً.. اذهبي معه, خصوصاً أن هذه الأسابيع سأكون مشغولاً مع زوجتي بزيارات عائلية لها..

حاولت معه بشتى الطرق.. إلى أن ارتفع صوتي.. وتشاجرت معه.. حتى دخل ضياء متسائلاً ما السبب.. أخذ الهاتف مني وتحدث مع أحمد وأخبره أحمد بكل شيء.. وانتهت المكالمة..

غضب ضياء كثيراً.. وسألني لماذا قمت بذلك..

وتحججت بأنني لا أحب السفر وبعض الأعذار الغبية.. رفضها جميعاً..

وحذرني من تكرار هذا التصرف..

جهز الأوراق اللازمة لذلك.. للأسف رضخت للأمر..

فأنا أريد الحصول على ما يدينني عنده.. وهذا يتطلب الصبر الكثير..

في الوقت نفسه.. كان يصرخ بداخلي أحياناً.. صوت لا أعلم مصدره!

يحرضني على الهرب.. يرسم لي الطريق نحو السماء.. محدداً بالنجوم..

طالباً مني أن أترك كل ما يحمله قلبي من آلام.. وهموم تجسدت على هيئة أثقال..

كي أكون خفيفاً كالريشة.. ويسهل من بعد ذلك اندفاعي نحو الأعلى..

وفي كل مرة أسمع هذا الصراخ.. للأسف.. لا أستجيب..

سافرنا سريعاً.. وصلنا صباحاً إلى أنقرة.. كانت جميلة جداً..

مزدحمة.. الكثير من الوجوه المختلفة هناك.. وكانت السحنة العربية حاضرة كالعادة.. الخليجية خصوصاً.. السياحة هناك أصبحت ظاهرة.. هذه الظاهرة أتت من وراء تعلق المواطن الخليجي بالمسلسلات التركية العاطفية..

توجهنا برفقة سائق فلسطيني الجنسية.. إلى مدينة قرقميش(5) التركية كي نستطيع من الدخول إلى

جرابلس(6) السورية.. الموازية لها على الحدود..

تناولنا الطعام هناك.. ثم تجاوزنا الحدود بواسطة معارفه من المهربين!

لم أصدق ذلك.. دخلنا إلى سورية!! من دون أن يطلب أحد منّا جوازا أو أي بطاقة للعبور!

صحيح أننا لم نتجاوز سوى القليل من الكيلومترات..

لكننا مشينا على الأرض السورية.. هذا الشعور أرعبني قليلاً..

سهولة العبور هناك كانت بشكل غريب جداً يدعو إلى الريبة!

فمن كانوا هناك.. يثقون بالسائق الفلسطيني كثيراً كما رأيت..

خصوصاً عندما علم المسيطرون هناك على معبر المرور أننا سعوديون!

كان ضياء يبتسم لكل من يصادفه عند النقاط التي تواجد بها مجهولون يرتدون ملابس مدنية وملثمين بقطع قماشية..

كان ضياء يدخن سيجارته وهو سعيداً جداً, ويغضب كلما شاهدني صامتة..

ويطلب مني أن أستمتع بجمال الطبيعة والمناظر الخلابة..

لو يعلم ما بداخلي من كره وحقد تجاهه.. لقتلني فورا بأوسخ رصاصة..

توقفت السيارة عند منزل خشبي بسيط وجميل جداً..

نزلنا وذهب السائق.. طرق ضياء الباب وأنا بجانبه مختنقة من نقابي الذي رفض أن أنزعه هو وقفازيّ.. فتح الباب شاب تركي ملتح.. وحضن ضياء حضناً قوياً فرحاً برؤيته.. طلب مني ضياء أن أصعد إلى الأعلى، حيث القسم المخصص للنساء..

وهو سيكون بالأسفل مع أصدقائه..

صعدت وسط تعالي أصوات الشباب الذين سعدوا مرحبين بحضوره كثيراً..

علمت حينها أنه شخصية مهمة فعلاً بهذه التجارة..

استقبلتني عند نهاية الدرج فتاة تونسية.. جميلة جداً..

رحبت بي متحدثة باللغة العربية الفصحى.. عرفت بنفسها.. هند..

وتكنى بأم السوداء.. وعرفتها بنفسي.. ثم أدخلتني إلى

غرفة بها خمس فتيات..

فتاتان تونسيتان بالإضافة إلى هند، وفتاتان بريطانيتان، وواحدة عراقية تدعى زمردة.. قدمتني لهن وصافحتهن ثم جلست..

فرحن كثيراً عندما علمن أنني سعودية الجنسية!

سألوني مباشرة عن الحرم المكي.. وعن مدى اشتياقهن لزيارته..

الفتاتان البريطانيتان(7) تتحدثان العربية بصعوبة..

لم أستوعب وجودهما هنا!

كيف اقتنعتا بهجر ساحات لندن.. والتوجه إلى ساحات الموت؟

الحقيقة أنني أصبت بالدوار.. لم أكن على ما يرام.. وكأنه كابوس!

هل يعقل أنني أنا روان.. أجلس بهذا المكان؟

سألتهن مباشرة لماذا نجتمع هنا؟

وأخبرتني هند بأنهن في مهمة الجهاد! وينتظرن الفرصة المناسبة للذهاب إلى مدينة الرقة(8) والانضمام إلى المعارك

دفاعاً عن دولة الخلافة!

شهقت ثم تكلمت من دون شعور:

- لكنكن جميلات! لماذا اخترتن هذا الخيار؟ ولماذا معكن فتيات من بريطانيا؟

أجابت هند وشعرت من نبرتها ببعض الحزن وهي تحاول إخفائه:

- جمالنا أحد الأسباب الرئيسية لتواجدنا هنا, وقع الخيار علينا ونحن سعيدات بذلك, سوف نعيش في أرض حرة وإسلامية, وسنتزوج من شباب مسلمين أشداء على الكفار رحماء بينهم.. هذا هو سبب قناعتنا جميعاً وقناعة البريطانيتن حديثتا الدخول بالإسلام.. سنكون زوجات لهم وذلك قمة السعادة.

- جهاد نكاح.. ها؟

تدخلت الفتاة العراقية زمردة قائلة:

- ما بكِ تقولينها وكأنكِ تستهزئين؟

- ها؟.. لا لا.. لكن هذا الواقع.. جهاد الجسد.

شعرت بنظراتهن تنهش ملامح وجهي المتورطة.. فتداركت ذلك هند وسألتني:

- هل تريدين القهوة أم الشاي؟ آسفة نسيت أن أقوم معكِ بواجب الضيافة..

- قهوة.

- تعالي معي كي أريكِ المطبخ وأتعرف عليكِ أكثر..

دخلت معها المطبخ ثم أخذتني بيدها إلى آخر المطبخ، ثم قالت وهي تتلفت يميناً ويساراً:

- اسمعي روان.. إياكِ وتكرار تلك اللهجة الساخرة مع الفتيات.. هنا كل شيء يُنقل بسرعة وهذا خطر كبير على حياتكِ.. هنا قطع الرؤوس أسهل من قطع تذكرة السفر!

- ولماذا تحذرينني؟ ألستِ منهن؟

- للأسف نعم.. لكنني أعرف الوجوه المتورطة مثلي.. شعرت منكِ بأنك متواجدة هنا رغماً عنكِ.. مثلي تماماً..

- حقاً! نعم انا متورطة يا أخت هند.. ولكن ما الذي أرغمكِ أنتِ بالحضور إلى هنا؟

أجابتني بعدما أبعدت وجهها عن وجهي ووضعت يداها على الطاولة:

- لقد وقعت في شباك أحدهم عبر "فيس بوك".. كنت

متحمسة جداً لنصرة أطفال سورية.. لكنني ندمت منذ بدايات المحادثات التي حصلت بيني وبين أحد السماسرة الجهاديين.. وحتى اليوم..

في تونس ودول المغرب العربي ينتشر لديهم برنامج فيس بوك أكثر من تويتر.. بخلافنا نحن بمنطقة الخليج.. يتصدر لدينا تويتر برامج التواصل الاجتماعي.. تحدثت لي بمرارة وكأنها تعرفني منذ زمن.. وجدت بي المتنفس كي تتحدث.. ثم واصلت:

- أنا اليوم تحت ولاية أمر أحد المقاتلين.. أصبحت زوجته رغماً عني, وأصبحتُ على قائمة المطلوبات في بلدي تونس.. وضعت نفسي بين نارين.. نار العودة.. ونار البقاء.. وأنتِ؟

- أنا زوجة ضياء.. رغماً عني لكنني أحسن منكِ حالاً.. لست مطلوبة في بلدي.. لم يكتشفوا أمري بعد.. ولم أستوعب بعد أنني أقف أمامكِ وأحدثكِ وأسمع منكِ هكذا أمور.

طلبت مني الهدوء والصبر وتقبل الواقع، وإلا فإن الموت سيكون عقوبتي المنتظرة!

طأطأت رأسي وأعددنا القهوة ثم عدنا إلى الغرفة وجلست أرتشفها ببطء وأنا مستمعة إلى أحاديث الفتيات التي لا تمت للأنوثة بصلة.. لقد سحق الزمن كل ما يربطهن بها للأسف..

انتهى اليوم ببطء, حتى أخبرتني إحداهن بأن ضياء ينتظرني بالأسفل يريد الحديث معي..

أخبرني بأننا سوف ننام هنا هذه الليلة, ومن ثم سنذهب صباحاً إلى داخل تركيا..

لننهي العديد من الأشغال, أهمها الالتقاء بالفتاة السعودية كي نساعدها على الهروب من أخيها, ومن ثم نجهزها كي تلحق بموعد عبور الحدود ليلاً..

كان يحدثني وأنا أردد بداخلي: سأسعى لإفشال مخططك أيها القذر..

اعطوني فراشا جديدا للنوم.. ولأنني لا أريد للموعد أن يحضر.. مر الليل سريعاً.. حيث نمت نحو ثلاث ساعات فقط.. شعرت بأن رأسي ثقيلاً جداً.. ثم أيقظتني زمردة.. مطالبة مني تأدية صلاة الفجر وأن أساعدهن في تحضير طعام الإفطار للشباب.

من قوة الكسل بجسدي.. شعرت بأن فراشي يجذبني وكأنه مغناطيس.. وقفت بصعوبة.. وقدماي وظهري وكلي متعبة من عناء الرحلة.. لكنني كنت مضطرة للنهوض.. أخذت حماماً سريعاً وتافهاً بواسطة الوعاء المتسخ بالحمام المقزز.. ثم صليت الفجر ودخلت المطبخ..

من دون مبالغة.. رأيت كل ما لذ وطاب من الأطعمة التي يأخذونها من الريف التركي!

القشطة الطازجة الغارقة بالعسل، واللبنة البيضاء جداً، وزيت الزيتون الذي تفوح رائحته كالعطر، والبيض المحلي الشهي، والزعتر الواضح جداً من صفائه، والخبز الساخن، وكذلك الشاي التركي الشهير الذي تواجد على أطراف الطاولة المربعة..

تلك كانت طاولة الرجال.. وأما نحن في الدور العلوي فكان مخصصا لنا.. فاقتصرت طاولتنا على الخبز واللبنة والزعتر والشاي وما تبقى من طعامهم بعد فراغهم من الإفطار!

سألتهم ما هذا؟ أريد البيض..

فأخبرنني بأن الرجال أولى بالطعام!

غضبت كثيراً ورفضت أن أفطر.. لولا إلحاح هند عليّ لما فطرت..

بينما كانت نظرات زمردة تمشطني من الأسفل حتى الأعلى.. يبدو أنني أستفزها..

فطرت.. وحتى اليوم لم أتذوق مثل لذة تلك اللبنة أبداً ولا الزعتر..

سمعت ضياء يصرخ باسمي من أسفل.. تجهزت وودعت الفتيات ثم نزلت إليه..

غادرنا من جرابلس السورية إلى مدينة غازي عنتاب(9) التركية..

جميلة ملامح البشر المختلفة هناك.. عندما وصلنا أعطاني ضياء هاتفي وبه شريحة اتصال تركية.. ثم تبادلنا حفظ الأرقام.. بيني وبين رقمه الجديد أيضاً..

جلسنا على كرسي خشبي بإحدى ممرات المشاة ورائحة الكباب المشهور بتلك المدينة.. تفوح تجاه أنفي مخترقة النقاب.. كان مطعم صغير بالقرب منّا، طلبت منه أن نأكل.. لكنه رفض بحماقة، متحججاً بأن لا وقت لدينا لنضيعه في الأكل..

طلب مني الدخول على حسابي بتويتر "الشيخة روان".. كي أتواصل مع الفتاة وأطلب منها رقمها كي تحدد لنا من خلال الواتس أب موقعها وترسله لنا..

كانت الساعة تشير إلى التاسعة صباحاً.. كان الوقت ثقيلاً جداً لا يتحرك..

لم أتوقع هذا التوقيت أبداً.. قد تحدث معك أحياناً!

يشعرك الوضع الذي أنت عليه بتوقيت ما.. لكن عندما تنظر إلى ساعتك تجد توقيتا آخر ليس له علاقة بالذي توقعته..

صدر تنبيه من هاتفي يفيد بوصول رسالة.. لقد كانت الفتاة تخاطبني كتابياً من خلال تويتر على الخاص.. أخذ ضياء الهاتف مني.. وكتب لها مباشرة..

بأنه الشخص المسؤول والمرافق للشيخة روان..

أخبرته بأنها الآن تحمل حقيبة صغيرة ذات عجلات، وضعت بها أهم الأغراض التي تحتاج اليها، وتحججت لأخيها بأنها تحتاج للحقيبة من أجل وضع ما تشتريه أثناء تجولهم أفضل من حمله، وأنهت حديثها بأنهم الآن يجلسون بإحدى الجلسات الخارجية في أحد المقاهي على شارع من شوارع غازي عنتاب..

ثم أرسلت له الموقع على الواتس أب كما طلب ضياء..

استغربت من جرأتها.. كيف لفتاة بأن تثق في هكذا شخص مجهول وخطير..

ما ذنب أخيها؟ وكيف سيكون موقفه عند اختفائها؟

كم هو مسكين هذا الشاب.. لدرجة أنه يصعب على العدو قبل الصديق..

انطلقنا فوراً مسرعين نحو موقعها المحدد..

حدد ضياء مكانها بسهولة.. ثم أشار بإصبعه إلى مكانها.. كانت ترتدي عباءة سوداء ونقابا.. لم يدهشني منظرها.. ثم توجهت عيناي تجاه أخيها المسكين..

فكانت الصدمة!

وكأنني صُعقت بماس كهربائي.. شهقت شهقة قوية أفجعت ضياء وجعلته يمسكني من كتفيّ متسائلاً: ما خطبك؟

لم أصدق عيني.. استحاااالة.. لقد كان.. كان..

لقد كان خالد!

نعم خالد حبيبي السابق الذي فرقته سيئات الدنيا عني..

وهذه التي معه أخته الوحيدة التي أعرفها.. منيرة..

ياااه.. لم أصدق هذا المشهد أبداً..

شعرت حينها بطعنات تجتاح قلبي الذي اشتعل نبضاً.. لم أتوقع أن عيني اللتين جف الدمع منهما سوف يشاهدان خالد مرة أخرى!

حبيبي الذي حُرمت منه وحُرم مني.. هنا في تركيا!

هو الذي سوف يحضر المؤتمر الخاص بالطب النفسي كما

أخبرتنا أخته سابقاً..

علمت حينها أنه قد حقق حلمه بأن أصبح طبيبا نفسيا كما أخبرني سابقاً..

منيرة.. أذكرها جيداً، عندما كنا نلعب سوياً مع بنات الحي، كانت مرحة وبريئة..

ما الذي جعلها تتنكس إلى هذه الدرجة؟ دااااعش!

عيناي كادت تفضحاني أمام ضياء.. جففتهما بسرعة وتحججت بأنني رأيت شرطياً قد مر بنهاية الشارع وخفت من افتضاح أمرنا..

وبخني بغضب.. بألا أكرر تلك التصرفات الغبية.. ثم طلب مني استغلال الوقت قبل أن يحفظ المارة وجوهنا..

كنت وقتها أحدث نفسي وقد عقدت الحزم من دون تفكير، بأن ما يريد تنفيذه هذا الأحمق لن يتم مهما كلفني الأمر.. رغم صبري وتقبلي للأمر الواقع..

إلا أنه من المحال أن أسمح بضرر خالد وعائلته..

لم تفارق وقتها عيناي خالد.. آآآه يا خالد.. للمرة الأولى منذ قرابة السنتين من فراقنا.. شعرت بحركة غريبة بقلبي.. شعرت بالنبض بعد أن نسيت الشعور به.. حدث ذلك على

الرغم من المصيبة التي وجدت بها نفسي..

خطرت على ضياء خطة ذكية وخبيثة..

كلفني بأن أذهب بسرعة إلى المقهى، وأن أطلب العديد من المأكولات ومن ثم أتظاهر بالعجز على التحدث مع الكاشير باللغة الإنجليزية!

عندها أتظاهر بالبحث عن أحد يفهم اللغة العربية كي يساعدني..

بذلك.. سأتوجه نحو خالد وأخته وأطلب منه أن يساعدني، لأنهم عائلة سعودية..

وأنا مثلهم كما سيكون واضحاً من لباسي ولهجتي..

بالتأكيد لن يتردد بنخوته في بلد الغربة.. من مساعدة بنت بلده بالترجمة..

وبهذا سيدخل معي إلى داخل المقهى كي يتحدث مع الكاشير..

هذه اللحظة هي الإشارة لأخته منيرة بالهرب عند نهاية الشارع كما اتفق معها ضياء.. الذي بدوره سوف يستقبلها هناك.. وبعد فراغي من خالد يتوجب عليّ أن ألحق بهما وأتواصل بالهاتف كي يحددا لي موقعهما الجديد الذي هربا

إليه..

خطة ذكية ومحكمة.. ولا أعلم كيف طرأت على بال هذا الحقير بهذه السرعة والدقة.. لكنني قررت من دون أن يعلم ضياء بإفسادها!

كنت قلقة من الاقتراب عند خالد والحديث معه بعد هذه الغيبة..

أكثر من تنفيذ الخطة نفسها.. لكنني تجاهلت كل هذا القلق من أجله وكذلك أخته..

وافقت على الخطة واستغرب من حماسي الذي رغم وضوحه إلا أنني لم أتغلب على توتري الطاغي الذي كان يسيطر عليّ..

طلبت منه أن يذهب إلى موقعه وأن يترك الباقي عليّ..

توجهت بتردد نحو المقهى..

وفعلاً قمت بكل ما كان مخطط له.. طلبت المأكولات.. تظاهرت بالغباء..

وحان الوقت كي أتوجه نحو خالد..

توجهت نحو طاولتهما ببطء شديد.. حتى وصلت.. كدت أسقط من طولي..

خصوصاً عندما جاءت عيني بعينه اللتين أحفظهما جيداً..

لم أستطع فتح فمي وإخراج الكلام.. كنت عاجزة وكأن بلعومي قد سُد بخلطة إسمنتية.. لا تسمح للهواء ولا للكلام بالمرور..

نظرت إلى أخته كي أستطيع التحدث.. وعلمت من نظراتها أنها تعرفت علي.. بأنني أنا الشيخة روان.. جاهدت عجزي حتى استطعت التكلم بارتباك وبصوت مصطنع:

- عفواً أخي.. هل أنت سعودي؟

- نعم أختي.. تفضلي!

قلبي الضعيف.. صوته الذي أحب.. لا أنسى تفاصيله.. صوته الذي عاد لملامسة طبلة أذني.. بعد أن غاب عنها طويلاً.. لم يقل لي حبيبتي.. قال لي هذه المرة.. أختي..

صعب جداً هذا الموقف.. صعب حتى الألم..

أخبرته بالمشكلة التي واجهتني.. وبالفعل.. تجاوب.. دخل معي إلى المقهى وأنا غير مصدقة ذلك.. حتى اقتربنا من الكاشير وتأكدت من ابتعادنا عن منيرة..

انفجرت بالحديث من دون مقدمات.. قلت له مسرعة:

- خالد.. كل ما سوف تسمعه مني الآن.. سر بيننا لمصلحتنا جميعاً.. أختك منيرة في خطر كبير جداً.. تريد الانضمام إلى تنظيم داعش! أنا هنا من أجل تحذيرك..عليك أن تلحق بها حالاً، هي الآن متوجهة نحو نهاية الشارع يسار المقهى للهرب منك، والذهاب برفقة السمسار الذي ينتظرها هناك.. أتوسل إليك هذا سر بيني وبينك فقط إن كانت تهمك أختك، سر حتى أتواصل معك قريباً.

قلت هذا الكلام بسرعة خيالية.. جعلته مصدوماً.. كان يستمع إليّ فاتحاً عينيه وفاه من الدهشة.. أعلم أن حديثي قد أرعبه وجعله محنطاً تماماً كما لو أنه تمثال شمع.. خصوصاً أن الموقف لا يصدق، ومن تحدثه كانت امرأة مجهولة تخفي ملامحها..

ردة فعله كانت مكوكية! ركض مسرعاً نحو الطاولة التي كان يشغلها هو وأخته..

لم يجد سوى كوبيّ القهوة وقد انتهى تصاعد الدخان منهما..

صدمة.. بل فجيعة.. واصل ركضه نحو نهاية الشارع الذي أخبرته، وخرجت أنا كي أراقب المشهد عن بعد..

وبالفعل حصل ما أردته بأن يحصل..

لحق بأخته وأمسكها من ذراعها بقوة.. ثم صرخ بوجهها وهو يستجمع أنفاسه..

وقتها.. هرب ضياء مذعوراً كالأرنب.. كرر خالد صرخاته بوجه منيرة وسط نظرات المارة الذين توقفوا للمشاهدة.. كان يهزها بقوة من كتفيها ويرفع يده كي يصفعها ثم يتراجع.. كرر ذلك مرات عدة وهو يسألها بصوتٍ عالٍ:

- أين تذهبين؟ لماذا تركضين؟ ومن هذا الرجل الملتحي الذي كان ينتظركِ؟

فلم تجب أبداً.. كانت تبكي!.. فقط تبكي..

قام بسحبها هي وحقيبتها حتى اختفيا بين غزارة المارة هناك..

عندها اطمئن قلبي كثيراً.. اتصلت على ضياء مباشرة، وسألته بغباء مزيف عن موقعه وعن نجاح الخطة من عدمها.. لم يجبني وطلب مني أن أظل بالقرب من المقهى وسوف يحضر بعد ربع ساعة..

وبالفعل حضر.. كان يغلي غضباً.. يصرخ بحرقة مكرراً:

- لقد فشلنا.. فشلناااا..

ثم نظر إليّ وسألني متوتراً:

- كيف علم أخوها بهروبها؟ ألم يكن معكِ بالداخل؟

تظاهرت بالتعجب من سؤاله، ثم أجبته:

- هي الغبية.. كان معي فعلاً.. لكنه التفت وراءه وشاهدها وهي تغادر مسرعة، فتركني وتبعها مسرعاً.. لم تختر التوقيت المناسب للهرب..

لم ينقطع لسانه من ترديد الشتائم التي كان يوجهها إلى الحظ..

كنوع من تفريغ القهر الذي انتابه.. فبالنسبة له المال هو كل شيء..

في تلك اللحظة..

لم يكن يهمني أبداً هذا الأحمق.. فأنا سعيدة جداً لإفسادي مخططه..

لكن من كان يشغلني هو خالد! كنت أخشى لو أنه تحدث مع أخته عما حصل معه داخل المقهى.. لو حدث ذلك فعلاً, فسوف يصل ذلك إلى ضياء حتماً, عندها سيكون عقابي وخيماً..

قرر ضياء أن نعود فوراً إلى جرابلس..

خوفاً كما أخبرني من أي تصرف قد يتخذه خالد.. لو وصل

الأمر إلى الشرطة التركية.. فإن تحركنا سوف يكون صعباً، ومن يدري لعل منيرة تعترف بكل شيء لهم..

بعد عناء الطريق.. وصلنا إلى المنزل الخشبي..

صعدت فوراً للأعلى كي أنعم بحمام ساخن يزيل كل التوتر، ويخفف من وقع الأحداث غير المتوقعة والصادمة في هذا اليوم العجيب.. ودخل ضياء عند أصدقائه غاضباً من الفشل..

من حسن الحظ..

أن الحقير ضياء ترك معي هاتفي المحمول.. يبدو أن غضبه جعله ينسى ذلك..

دخلت إلى الغرفة وسلمت على البنات.. أخبرتني هند بأن الفتاتين التونسيتين اللتين كانتا معنا قد غادرتا إلى سورية بأمر سري.. وبقيت أنا فقط..

حزنت على حالهما، رغم فرحتهما بذلك كما أخبراني..

وفرحت كثيراً ببقاء هند..

تركتها وذهبت إلى الحمام ومعي هاتفي.. أغلقت الباب جيداً، ثم جلست على الكرسي وفتحت حسابي بتويتر.. دخلت إلى الخاص كي أتواصل مع منيرة..

ألقيت عليها السلام.. وما هي إلا ثوان حتى أجابتني.. سألتها إن كان أصابها أي مكروه..

أجابتني إجابة غريبة أخافتني كثيراً:

- من أنتِ؟

جفت عروقي وتوقفت عن الكتابة..

ثم سألت نفسي متفاجئة.. هل يعقل؟ هل من الممكن أن يكون هو؟!

من دون أن أشعر تجرأت وسألته:

- خالد؟

اندهش كثيراً وجاوبني بخمس علامات تعجب (!!!!!)

فهمت منه أنه تساؤل صامت عبّر به عن دهشته من معرفتي باسمه..

للحظة تبادر إلى ذهني لو أنها منيرة! وكان تساؤلها من باب التأكد أو الأمان..

كتابة اسم أخيها سيوقعني في ورطة من الصعب الخروج منها..

أجابني إجابة أنهت كل هذه الشكوك التي دارت في ذهني:

- أنتِ الفتاة المنقبة التي حصل لي معها موقف هذا اليوم؟

رعشة أصابت فروة رأسي.. جعلتني أقوم بفركها بسرعة, مرافقة بذلك حركة قدمي المستمرة التي تعكس مدى توتري..

يا إلهي.. خالد حبيبي يحدثني كتابياً.. يحدثني ولا يعرف أنني روان.. آخر من يتوقعه أنا.. حبيبته الموؤدة.. صمت وظللت أنظر إلى الشاشة وعيناي تدمعان..

نزلت دموعي على خديّ المتعبين.. فجأة.. انهالت الضربات على الباب!

كادت تنقطع أنفاسي.. صوت أحدهم:

- رواااان.. أريد الحمام.. ماذا تفعلين لا أسمع صوت الماء؟

لقد كانت المستفزة زمردة.. فجة في تصرفاتها.. أجبتها كي تبتعد عني:

- عشر دقائق فقط وسأخرج.

ابتعدت وهي تتمتم بعض الكلمات التي لم أفهم منها شيئاً سوى أنها كانت غاضبة..

كسر الصمت خالد وكتب لي:

- نعم أنا خالد.. أخبريني أرجوكِ ما الذي يحدث؟

هو يسأل وأنا فضولي يحرق أصابعي.. فضولي الذي سيطر عليه انتشاء قلبي بعودة خالد.. نعم في هذا الوقت.. أصبح قريبا.. قريبا جداً.. يكتب لي..

أريد أن أسأله عن أحواله.. هل تزوج؟ وإن حصل.. هل لديه أطفال؟

قلبي ينفطر.. العشوائية كانت حالتي ولم أعرف ماذا أقول ومن أين أبدأ..

كرر سؤاله ثانية، ويجب عليّ أن أجيبه كي لا أتأخر أكثر بالحمام..

قررت أن أجيبه من دون تفاصيل..

سأكتب له.. وأتمنى فعلا أن يكون خالد.. وليس اختبارا من أحد غيره..

سأخاطر بحياتي من أجلك.. حتى وإن تم اكتشاف أمري عند ضياء.. لن يفعل شيئاً.. هو متعلق بي وبجسدي.. وهذا كفيل عند من هم أمثاله, بأنه لن يضرني أو يخسرني.. سيغضب فقط..

كتبت له ويداي ترتبكان:

- خالد.. ما سأقوله لك خطير جداً.. أرجو أن يظل بيننا كما أخبرتك سابقاً.. وأن تمسح المحادثة بعد فراغنا منها..

- تكلمي..

- خالد.. عليك أن تعود بسرعة بأختك إلى السعودية!

- لماذا؟ لماذااا؟

- أختك كانت على وشك الانضمام إلى تنظيم داعش.. وأنا كما تعلم من أفسدت ذلك.. وأخشى أن تهرب أختك منك مرة أخرى.

- مستحيييييل.. ماذا تقولين أنتِ؟ تكرري نفس حديثكِ من دون أن أفهم!

- أرجوك.. نفذ ما أقوله لك.. هل أخبرتها بما حدث بيننا في المقهى؟

- لا.. فقط تشاجرت معها وأغلقت عليها حجرتها بالفندق..

- كل ما دار بيننا.. سر.. وإلا الموت سيحضر لي ولأختك.. ولا تعيد الهاتف إلى أختك أبداً ومن يحدثك تحدث معه على أنك منيرة.. قد يتواصل معك غيري من نفس الحساب.. وإن خاطبتك بخالد.. فاعلم أنه أنا الفتاة المنتقبة.. الشيخة روان..

لم يقتنع كثيراً كما بدا لي من خلال صمته.. الحقيقة لا

يلام.. فتوالي الصدمات بهذا الشكل لأي شخص يحدث له مثل هذا النوع من الهزات.. استمر في صمته لدقائق إلى أن كتب:

- حسناً.. ليس أمامي سوى تصديقك.. سأكون بانتظاركِ.. سأعود غداً مع أختي على أول رحلة..

- أحسنت.. إلى اللقاء.. حفظكما المولى..

ظننت أن اسمي سيخلق له بعض الشكوك.. خصوصاً أنه شاهدني.. ربما حركت الذكريات هيئتي بذاكرته.. لكن المصيبة التي حلت عليه لخبطت كل ما خطط له في هذه الرحلة.. التي كان الغرض منها متعة وعلم.. أصبحت رعبا وألما..

من الغباء أن أفكر بذلك.. أن يذكر شكلي في مثل هذه الظروف..

لكن هذه طبيعة النفس.. نظن بحصول ما يقلقنا.. أو إن جاز التعبير.. ما نتمنى أن يحدث لنا..

سمعت صراخ ضياء من أسفل.. ينادي باسمي..

حذفت المحادثة بسرعة.. ثم غسلت وجهي وبللت شعري قليلا وأجزاء من جسدي..

ووضعت الفوطة على رأسي.. ثم خرجت متظاهرة بانتهائي من الاستحمام..

نزلت إلى الأسفل فوجدت ضياء ينتظرني بمنتصف السلم ماداً يده لي, يطلب الهاتف! وكعادتي لم أنجُ من الارتباك.. مددت يدي له وأعطيته إياه.. أخذه ونزل من دون أن يقول لي شيئا.. لقد كان مشغول البال بطريقة عجيبة..

لقد كان يوماً صعباً فعلاً..

كنت أحتاج إلى النوم.. أحتاج إليه كثيراً من دون استيقاظ..

نظرات خالد ما زالت تتمركز بمنتصف عيني.. أتخيله أمامي.. وأنظر إليه..

لم أصدق ما حصل لي أبداً.. كنت أجاهد بألا أذهب إلى تركيا برفقة ضياء..

ولم أتوقع أبداً أن هذا القدر.. سيضع لي في طريقي.. خالد..

إنه فيلم دراماتيكي بإيقاع سريع لن أفهمه أبداً..

ظللت أراجع كل ما حصل معي.. حتى اقترب الصباح..

أديت صلاة الفجر وتمددت على فراشي.. وبدأت عيناي تنسدلان نحو الأسفل كستار المسرح.. نمت نومة سريعة

وغريبة وليست مريحة أبداً..

فتحت عيناي على زمردة! وهي تسرح شعرها.. كان ناعما مائلا إلى اللون الأشقر وطويلا بشكل لافت..

الحقيقة.. سرحت بجمالها.. بالفعل كانت جميلة جداً.. قوامها لم أرى مثله.. نعرف ذلك جيداً نحن البنات.. على الرغم من ارتدائها لروب واسع, إلا أن جسدها كان يتغلب على ذلك الوسع ويجبر الروب عاجزاً على إخفاء خصرها المنحوت..

عيناها دائريتان ويحيط بهما الكحل دائماً..

سألتها سؤالا وصوتي كان مبحوحاً من إجهاد النوم:

- زمردة.. هل لي بسؤال؟

نظرت إليّ متعجبة من نظراتي وبيدها اليمنى تمسك المشط.. ثم قالت:

- تفضلي.. تفضلي..

- فتاة جميلة مثلكِ.. ماذا تفعل هنا وسط كل هذه البشاعة؟

أجابتني بعدما واصلت بتسريح شعرها الأشقر:

- مثلما تفعل فتاة جميلة مثلكِ هنا..

- لا لا.. أنا حالة خاصة.. جاوبيني أنتِ..

- أتحدث جادة.. ملامحكِ يا روان ليست لها علاقة بهذا المكان.. ولا أخفيكِ أنني تحدثت مع هند عنكِ بهذا الموضوع..

- ولا أنتِ يا زمردة.. بصراحة هل أنتِ هنا عن قناعة؟ أم مجبرة؟

ارتبكت كثيراً من سؤالي وشعرت بخوفها من الإجابة.. توجهت نحو السلم خارج الغرفة ثم تلفتت بكل الاتجاهات.. ثم عادت واقتربت مني بعد أن أغلقت الباب..

وحذرتني من تكرار هذه الأسئلة هنا.. وبأنها لا تريد المشاكل.. سألتها بامتعاض:

- ولماذا؟

- هنا الداخل مفقود.. والخارج مولود.. لا أريد أن أموت.. أنا راقصة.. والراقصة تحب الحياة.. كل ما أفعله هنا هو من أجل الاستمرار بالحياة فقط.. حتى لو على حساب حياة الآخرين.. أعلم أنني متورطة، لكن لم يكن أمامي حل آخر.. فأنا مجبرة من قبل زوجي الذي كان يملك المرقص الذي كنت أرقص به في سورية.. أنا هنا معه تحت مسمى مجاهدة..

علمت أنها هنا مثلها مثل هند.. ليست لديها القناعة الكاملة..

لكن الظروف التي تقهرها كأنثى تجبرها على الخضوع والاستسلام..

الحاجة إلى المادة.. جبروت الزوج فاقد الرجولة.. وغيرها من الأمور.. كلها عوامل تفوق طاقتها وطاقة أي فتاة قد تتورط في هكذا حال..

أخبرتني بأن شقيقها الوحيد استشهد من قبل إحدى الجماعات المقاتلة المتشددة من الطائفة الشيعية.. لذلك لم تمانع من اقتراح زوجها الانضمام إلى تنظيم داعش, من أجل المادة والحماية وكذلك من أجل الانتقام!

الكل في كلتا الطائفتين يبحث عن الانضمام إلى الأكثر تشدداً, وذلك لضمان الحياة من خلال موت الآخرين! وكذلك من أجل الانتقام!

معادلة غريبة حقاً لا تمت للإنسانية بصلة.. أن تعيش من وراء موت الآخرين!

فهمت من حديثها أن زوجها من الجنسية السورية, وأحد أصدقاء ضياء متواجد معهم بالأسفل.. صاحب مرقص شهير بسورية.. كان يستغل جمالها لكسب المال.. فمن خلالها يجلب كبار التجار لمرقصه.. وبسببها جمع الكثير من المال.. لكن مع

الحرب ضاع كل شيء.. تدمر المرقص وتكالبت الديون..

أصبح زوجها الآن كما قالت لي.. يعمل على توفير خدمات خاصة للمقاتلين!

وعندما سألتها مثل ماذا؟

تهربت من الاجابة.. وفهمت من تهربها بأنه أقل من نصف رجل..

يقوم بأعمال يندى لها الجبين.. إنه جشع المال.. يقتل كل خصلة حية بالضمير..

تساءلت بنفسي.. ماذا تنتظرين من قذر يتاجر بشرفه؟!

تجنبت إحراجها..

هي ضعيفة جداً ومجبرة وسط طواحين هذه الحياة القاسية التي لا ترحم أبداً..

لذلك، تظاهرت بعدم اهتمامي بالتفاصيل.. وأكملنا حديثنا بشكل طبيعي..

مرت نحو خمسة أيام..

تحسنت علاقتي مع زمردة كثيراً.. وأصبحت أنا وهي وهند صديقات أكثر.. لتشابه حالاتنا من حيث الإجبار بالتواجد

هنا.. لقد كنا ضحايا سماسرة بشبكة تنظيم خطير جداً..

الفتاتان البريطانيتان تم طلبهما بالاسم..

للتوجه نحو المدن الداخلية.. الرقة بالتحديد..

ذهبتا وهما يكبران بلهجة أجنبية ركيكة.. يا للهول.. لم أستوعب ذلك أبداً..

بقينا نحن الثلاثة..

خلال تلك الأيام.. بدأ ضياء الأحمق يضايقني بحماقاته!

كان كل ليلة يحاول إقناعي بأن أنام معه في غرفة خارجية بالقرب من المنزل الخشبي، متحججاً بشوقه لي.. وفي كل مرة أتمنى لو أن أقطع فمه بسكين حاد كي لا يكرر ذلك معي.. كان يتغزل ويتقرب ويصيبني بالغثيان.. فأتحجج بأعمال المنزل وبمساعدة البنات أو بالإجهاد.. كي لا يغضب مني.. ويعود من غير ملل مكرراً محاولاته.. حتى أتى ذلك اليوم الذي أخبرني باقتراب موعد عودتنا إلى جدة..

فرحت كثيراً ولم أصدق الخبر..

في إحدى الليالي الأخيرة.. وقبل عودتنا إلى جدة بيومين تقريباً..

كنا نشرب الشاي أنا والبنات ليلا..

حصل شجار بصوت منخفض بعد حديث مقتضب بين هند وزمردة!

تدخلت بينهما متسائلة:

- ما خطبكما؟

اجتاحهما هدوء.. ونظرات مسروقة لبعضهما..

كررت سؤالي وأجابتني هند بصوت خافت بعدما اقتربت مني:

- زمردة.. تريد الهرب!

نظرت مباشرة إلى زمردة ولا أعلم هل أفرح لأجلها أم أخشى عليها.. سألتها:

- لماذا؟ ما الدافع المفاجئ؟ ألم تخبريني بأنك تجدين الحياة هنا؟

- أي حياة؟ لولا المال والحماية هنا لما بقيت ساعة واحدة..

- وما الذي تغير فجأة؟

- زوجي.. تعرف على أحد السماسرة بالقاهرة.. طلبني بالاسم كي أعمل راقصة رئيسية في أحد مراقص الفنادق الفخمة هناك..

عديم الرجولة.. كالعادة المال همه الأول.. يريد من المسكينة أن تعود إلى الرذيلة!

لم أعقب على حديث زمردة أبداً.. فضلت السكوت حتى تدخلت هند تترجى قائلة:

- زمردة.. ستكون حياتكما على كف عفريت إن علم بأمركما أفراد التنظيم.. سيقتلونكِ أنتِ وزوجكِ السافل..

- الموت أفضل ألف مرة من هذه الحياة.. لقد كرهت كل شيء ونفد صبري متظاهرة بالرضا.. أن أموت في المراقص وسط أشكال نظيفة, أهون عليّ من الحياة وسط هذه الأشكال القذرة! ما يحدث لي يفوق طاقتي.

تحدثنا طويلا من غير فائدة.. كانت زمردة مصرة.. حتى أنها أخبرتنا بأن كل شيء قد تم تجهيزه.. لدرجة أن موعد هروبهما هو هذه الليلة.. سيهربان خلسة سوياً قبل ظهور الصباح كما أخبرتنا..

لم تكمل حديثها معنا حتى سمعنا صراخا وصوتا عاليا ينبعث إلينا من الحديقة الخارجية.. ثم سمعنا صوت صرخة مكتومة بشكل مريب!

تعالت صيحاتنا فزعاً.. فارتدينا عباءاتنا ونزلنا بسرعة إلى الأسفل بحذر..

وجدنا باب المنزل مفتوحاً! تقدمنا ولم تكن الرؤية واضحة لتمكن الظلام من الخارج.. قليلا من الضوء أهدانا إياه ضوء القمر..

كانت الفاجعة!

زوج زمردة ممدد على الأرض وعلى ظهره بقع متفرقة من الدم!

ومن حوله يقف ضياء واثنان من أصدقائه لم تتضح ملامحهما..

وأحدهما يحمل سلاحا وفي مقدمة الفوهة قطعة طويلة كاتمة لصوت الطلق..

علمنا أنه زوجها بعدما صرخت زمردة صرخة انهيار وارتمت بجسدها عليه وهي تبكي بقوة وبصوت يكاد يمحى.. حضنت هند من ألم الموقف.. والصدمة قد غطت وجوهنا..

واصلت زمردة بكاءها بحرقة وكانت تصرخ وتلعن من قتله..

فجأة.. صمتت وشهقت.. وبدأت تكرر بارتجاف:

- إنه حي!.. أنه يتنفس.. يتنفس أرجوكم ساعدوه..

وبكل برود ومن دون أي تمهيد.. انقطع صراخ زمردة!

طلقة أخرى من نفس السلاح الكاتم للصوت, اخترقت ظهر زمردة وأسقطتها على صدر زوجها! ثم رددوا جميعاً: الله أكبر.. الله أكبر.. الموت للخونة.

برودة مفاجئة حلت عليّ ولا أذكر بعدها شيئاً.. لقد وقعت مغشية عليّ..

ولم أفق إلا في الصباح قرابة الساعة الثامنة.. وعيت على صوت بكاء هند..

وجدت نفسي في غرفتنا بالأعلى.. شعرت بضيق تنفس رهيب لم يخففه عني سوى البكاء بشكل هستيري مع هند على زمردة المسكينة..

اقتربت مني هند وحضنتني وهي تصرخ: آآآآه يا زمردة..

للأسف، لقد كشفوا أمرهما.. أخبرتني هند بعد ذلك بأن زوج زمردة هو سبب افتضاح أمر هروبهما.. لقد سرق من خزنة الجماعة المخبأة مبلغا كبيرا وأراد الهرب به معها..

المال الذي يركض وراءه طوال عمره.. هو نفسه من أنهى عمره!

لم يغب منظر الجميلة زمردة عن مخيلتي وهي على صدر

زوجها..

وعندها يزيد قلبي أنيناً وألما عليها..

هذا المواقف أحد المواقف التي ضاعفت بسرعة كرهي لضياء..

كان هناك صوت للانتقام يناديني.. ولا أعرف كيف أنصت إليه..

سألت هند عن موعد دفنهما.. كي نحضر.. فمن المؤكد ليس لهما أحد هنا, يعلم بمغادرتها هذه الحياة القاسية..

انهارت هند بالبكاء فجأة!

ولم تستطع الإجابة! وسط استغرابي من ردة فعلها!

كانت تضرب الأرض بقوة.. وتردد كلمات يخفيها صوت صياحها..

لم أفهم شيئاً أبداً بسبب أنفاسها المتقطعة.. اقتربت منها حتى نجحت بتهدئتها..

إلى أن تحدثت بحزن بالغ.. وبقهر.. قالت وهي مرتعدة:

- زمردة وزوجها.. لم يقتلا بطلقات نارية يا روان.

نظرت إلى وجهها والحيرة قد رُسمت على وجهي.. ولم

أستوعب ما قالته لي!

ثم سألتها:

- كيف؟ تحدثي مباشرة لا أقوى على التفكير..

عادت للبكاء وهي تقول:

- لقد كان سلاحا قويا مخدرا.. والدم الذي شاهدناه هو بسبب ضربة قوية كانت على رأس زوج زمردة.. أتذكرين زمردة عندما صرخت بعد اكتشافها أن زوجها كان لا يزال يتنفس؟

- نعم صحيح.. لكنني لم أفهم بعد! هل هم الآن أحياء أم أموات.. ماذا تريدين أن تقولين؟.. لا تعذبيني بالتفكير أكثر!

ضربت بيداها مرة أخرى على الأرض بقوة وهي تردد بحرقة جارفة:

- كانا أحياء يا روان.. أحياء حتى صباح هذا اليوم فقط! ومن ثم قتلوا فعلاً وتم دفنهما بعد ذلك! لقد نُقلوا إلى القبو!.. حيث المخبأ.. تحت هذا المنزل.. حيث غرفة العمليات السرية!

- غرفة عمليات! وماذا يفعلون بها تحت الأرض؟ وما دخل زمردة وزوجها؟

- لقد شقوا جسديهما بعملية بشعة كي يأخذوا منهما ما يحتاجون إليه من أعضائهما, ثم يحفظونها بطريقة تضمن صلاحيتها ووصولها إلى السماسرة المسوقين لهكذا تجارة! يتم تهريبها وبيعها.. إنها تجارة الأعضاء(10).

قشعريرة مفاجئة عاثت بجسدي, ولوعة كبد لا تطاق أبداً حلت عليّ, وغثيان من قوته شعرت به يلامس شعر رأسي من الداخل.. تحدثت ويدي على فمي:

ما الذي تقولينه يا هند.. إنه أمر لا يستطيع العقل استيعابه!

القرنية والقلب وغيرهما من الأعضاء.. يقوم بهذه العمليات المجاهد الفرنسي الذي ينتمي لهم.. هو طبيب جراحة.. فرنسي من أصل عربي.. يحضر إليهم كلما توافرت ضحايا.. فشل في بلده فقرر التطرف وتكسب المال من خلال هذه السبل غير المشروعة.. كله لأجل المال يا روان..

لم تكمل حديثها وهي تبكي.. حتى أصابتني رعشة وركضت نحو الحمام مباشرة وبدأت بالتقيأ والبكاء واللعن سوياً..

استحالة ما مررت به.. لا أصدق.. لهذا السبب إذاً كانت تبكي هند بحرقة..

ضياء.. ضياء.. ضياء.. أنت ملعون فوق اللعن.. أقسم بأنك

لن تفلت من أفعالك..

أيقنت وقتها أن مصيبتي التي أتعذب بسببها ليل نهار.. أهون بكثير من هذه الكوارث التي حدثت أمامي..

آآآخ يا زمردة.. تحبين الحياة كما أخبرتيني, لكنها لم تحبك أبداً..

كم هو مؤلم أن تكون نهاية فتاة جميلة بهذا الشكل البشع..

أخبرتني هند بعد ذلك بأنهما دُفنا بعد ذلك وكأنهما شوالي بطاطا..

بالقرب من حديقة المنزل من دون أن يرى ذلك أحد.. وتم تصريف الأعضاء مباشرة..

حتى أنهما قبضا السعر قبل إرسالها!

هؤلاء ضباع! تجسدت على أشكال بشر.. لا رحمة يملكون ولا يعرفون شفقة..

بل على العكس.. سكان الغابة بمختلف فصائلهم..أصبحوا أكثر رحمة من سكان المدن والقرى..

وكأنهم خلقوا من أجل المال فقط.. يجمعونه بأي طريقة كانت!

جلست وحدي سارحة بما حدث..

كنت أفكر بكل ما حدث من صور إجرامية.. غير إنسانية..

لم أستوعب تلك الأحداث من هؤلاء.. ضياء ومن هم على شاكلته!

كل هؤلاء.. ليسوا سوى مقدمة للرؤوس الكبيرة والمقاتلين هناك..

ولكم أن تتخيلوا.. هذه العينات من البشر التي مررت بها..

هي فقط البداية..

لكم أن تتخيلوا كيف ستكون العينات التي بالداخل!

وهم يقاتلون.. ويقطعون الرؤوس يومياً..

بالتأكيد أن رائحة الدم لديهم.. رائحة مألوفة وطبيعية!

حمدت ربي كثيراً على أنني لم أتعد الحدود كثيراً..

على الرغم من أن ساحة القتال لا تبعد عني سوى القليل من الكيلومترات..

قمت بعدها مع هند بصناعة عقدين من الأزهار..

ووضعناهما على قبرهما الذي دُفنا فيه سوياً.. رحمكما الرب..

سأدعو لكما كلما حللتما على ذاكرتي..

بعد هذه الحادثة التي دمرت نفسيتنا بيومين..

تواعدنا أنا وهند.. من أجل عودتي إلى جدة مع ضياء..

شعرنا وكأننا نعرف بعضنا منذ عشرات السنين, لقد كان وداعاً مؤلماً..

سأشتاق حتماً لهند ولطيبة قلبها الواضحة والصادقة..

أخبرتني بأنها سوف تذهب قريباً إلى مدينة الرقة من أجل الانضمام إلى بقية الأخوات المجاهدات كما وصفتهن لي.. قرارها هذا كما قالت.. لا رجعة فيه..

فهي في كلتا الحالتين ميتة.. لكنها تفضل أن تموت بالخارج, على أن تموت بين جدران السجن الذي ينتظرها في بلدها.. تونس..

عدنا إلى أنقرة ومن ثم إلى جدة بعد رحلة شاقة عبر الطائرة..

وعدت إلى شقة الكآبة والبؤس.. في حي الجامعة الشعبي..

كنت أحتاج إلى فترة نقاهة لا أريد فعل أي شيء فيها.. سوى الهدوء والنوم..

# عندما يتغير الشيطان!

# وتحضر الحيلة!

بعد أن عدنا من تركيا.. كان يتبقى قرابة الأسبوعين.. كي تقترب فترة الأشهر الستة المتفق عليها من الانتهاء.. من أجل أن تنفيذ الاتفاق الذي كان بيني وبين ضياء.. وتم هذا الزواج من أجله..

لكنه صارحني بكل وضوح:

- أعلم أن ساعة تنفيذ الاتفاق قد اقتربت, لكنني لم أتوقع أن أتعلق بكِ بهذه الطريقة, لذلك سوف أمدد المدة.. ولا أعدكِ بتاريخ معين!

- لكن هناك اتفاقا بيننا.. أنت تكذب وأمثالك لا يصدقون..

غضب من حديثي وقال متسائلاً:

- ومشاعركِ تجاهي! هل كنتِ تكذبين عليّ؟

تنبهت إلى شناعة ردة فعلي, وتداركت ذلك بالتصنع الذي اعتدت عليه معه, وكأنني الجميلة الحزينة.. ثم قلت:

- لا.. لا يا ضياء.. لم أقصد ذلك.. لكنني خائفة من تهديداتك لي.

- أنا أحبكِ ما خطبكِ؟ وليس هناك أي داع للخوف.. لن أضركِ وسأمحي المقطع أمام عينيكِ إن كنتِ مستقيمة معي، كما تعودت عليكِ بالفترة الأخيرة.

الحقير.. متى ينتهي هذا الفيلم السخيف والثقيل على قلبي..

لم أعد أطيقه أبداً.. ولكن لا أملك إلا الصبر.. سأسعى للوصول إلى هاتفه لعلي أجد شيئاً مهماً أقوم بحذفه من دون أن يشعر..

مر على بالي أخي أحمد.. إخواني.. لم يسأل عليّ أحد منهم!

يبدو أنني تعودت على ذلك.. هم إخوة على الورق فقط..

وبينما كنت سارحة أفكر بمصيبتي..

وضع يده على كتفي وقبّل جبهتي، ثم عرض عرضاً:

- ما رأيكِ أن نخرج قليلاً؟

- نخرج! لم أر الشارع ولا الناس في جدة طويلاً.. إلى أين؟

- سأُريكِ مكاناً جميلاً.. سنقضي به وقتاً جميلاً ومثيراً!

أخافتني طريقته بوصف المكان.. لكنني وافقت لأنني

أحتاج لرؤية وجوه أناس جديدة, غير وجه هذا المريض..

تجهزت وخرجنا سوياً بعد الظهر.. بعد أن نفذت كل ملاحظاته بملابسي وعباءتي التي أصر عليّ كما تعودت منذ زواجنا بأن أرتدي قفازات اليدين تطبيقاً للشرع كما يقول.. استجبت له.. المهم أن نخرج.. لم أتفوه بكلمة واحدة طوال الطريق.. كان يتحدث ويبشرني عن المجندين الذين استطاعوا بإقناعهم وإرسالهم إلى سورية..

وأنا صامتة وكلما نظر إليّ.. اطلقت ضحكة كاذبة كي يشعر بأني معه..

وصلنا إلى حي غير مزدحم لم ألاحظ اسمه.. تقع به استراحات متناثرة في جنوب جدة..

حتى وصلنا إلى إحداها وأخبرني بأنه اشتراها مؤخراً.. ويستفيد منها بتأجيرها على العائلات..

أدخل سيارته وأغلق الباب بالجهاز الذي كان يحمله.. ثم نزلنا..

بدأت أتفحص المكان.. ولم أكمل دقائق حتى بدأ المعتوه بالاقتراب مني..

ابتعدت عنه.. واقترب بشكل مجنون.. كان كالشيطان

تماماً!.. علمت أنه يريد أن يمارس طريقته المستفزة معي.. قال لي وهو يرتجف:

- روان.. لقد تعلقت بكِ كثيراً.. أنا أحبكِ.. أو ربما شغوف بكِ لدرجة الجنون.. ماذا فعلتِ بي يا جميلتي..

أخافني كثيراً ولن أتقبل ملامحه فضلاً عن كلماته..

نظر إليّ من أسفل إلى أعلى.. ثم طلب مني أن أركض!

وعندما سألته بتعجب:

- لماذا؟

أجابني:

- لا أحب الضحية السهلة.. اركضي كالغزال وسأقبض عليكِ كالنمر.

تمنيت لو كان هذا الموقف خيالياً.. علمت أنه قد بدأ فعلاً بممارسة أمراضه..

ركضت من الخوف وركض خلفي.. ومن غير تفكير وجدت بالقرب مني معول حفر.. أخذته بسرعة وأنا مذعورة, وضربت به رأسه قبل أن يتمكن مني..

ضربة قوية أسقطته أرضاً!

صرخ من الضربة ثم اختفى صوته! ورميت المعول من يدي.. ثم نظرت إليه..

صمت مطبق بالمكان! سألت نفسي.. ماذا فعلتِ أيتها الحمقاء؟

خفت كثيراً.. أخرجت هاتفه من جيبه وقمت بالاتصال فوراً بالإسعاف..

وفتحت هاتفي لأحدد موقعي وأتعرف على مكان الاستراحة كي أخبر المسعفين..

قمت بذلك بسرعة خيالية.. نظرت إليه.. لا يتنفس أبداً.. ولا يتحرك!

أيقنت أنها كارثة حقيقية لو مات! ستنتهي حياتي حتماً!

وقتها.. شعرت وكأن الشياطين تتلبسني وتقدم لي الحلول على هيئة أطواق نجاة!

شعرت فعلاً أنها فرصة العمر.. خطرت على بالي فكرة جهنمية!

من وحي شيطاني.. أو ربما خلاف ذلك.. لا أعلم.. لكن كل ما كنت متأكدة منه, بأنه ليس وقت الرحمة أبداً.. أريد أن أنجو من هذا المحيط العميق الذي لا مرسى حوله..

قررت أن اتصل بالشرطة فوراً, وأن أخبرهم بأننا بينما كنا أنا وزوجي بالاستراحة.. اقتحم علينا من فوق الجدار لص مقنع! تعارك مع زوجي ثم ضربه بالمعول وأسقطه صريعاً ثم فر هارباً.. وأنني أخبرت الإسعاف ثم قمت بإخبارهم من الارتباك.. تحدثت معهم وأنا أتظاهر بالخوف وبالبكاء طالبة النجدة..

رغم تلعثمي.. إلا أنني كنت مبدعة بالتمثيل..

من حسن الحظ أنني عندما أمسكت المعول, كنت أرتدي القفازات التي أمرني بارتدائها من أجل الحشمة كما يقول.. لذلك لن تترك أي بصمات على أداة الجريمة, فصختها مسرعاً وقذفت بها من الجهة الخلفية للاستراحة.. وبقيت أنتظر الإسعاف والشرطة..

هاتفه المحمول الذي يحتوي على ثمن حريتي أصبح معي.. منبع أسراره ومقاطع فضيحتي كلها الآن بحوزتي..

على الرغم من أنه يحمل رقما سريا.. إلا أن هذا لا يهم.. يكفي أنه معي..

لم أصدق ذلك.. كنت أرتعش خوفاً من الموقف الذي حصل فجأة من دون تخطيط..

فقط أريد أن تمر هذه الخدعة على رجال الشرطة.. وأن

أنفد بجلدي..

عشر دقائق تماماً وحضرت الشرطة.. ومن ثم بعدها بدقائق حضرت سيارة الإسعاف لبعد مركزهم عن المنطقة..

تظاهرت بالخوف وبالبكاء.. وانفجرت فوراً بوجه رجال الأمن:

- لقد ضرب زوجي حبيبي ثم هرب من ذلك الاتجاه.. لقد قتله وكاد يقتلني لولا صراخي العالي الذي أخافه.

تحدث الضابط:

- هدئي من روعكِ أختي.. لا تقلقي أبداً.. سيقوم المسعفون بعملهم وأنتِ اصعدي السيارة معي كي نقوم باللازم..

- مستحيييل.. سأصعد مع زوجي بسيارة الإسعاف لن أفارقه حتى المستشفى.

وواصلت البكاء واللطم والتحسر.. وفعلاً تعاطف معي وسمح لي بالركوب معه..

استمررت في التظاهر بالبكاء أمام المسعفين ونظراتي لا تفارق ذلك الحقير..

كانت تلك اللحظات وكأنها سنوات بالنسبة لي.. أريدها أن تمر وأن يُدفن وأن ينتهي كل شيء..

قبل أن نصل إلى المستشفى.. صاح أحد المسعفين:

- الرجل يتنفس! قد نستطيع اللحاق عليه.. أسرع أيها السائق قبل أن يفارق الحياة..

وكأنه وجه لي ضربة بلوح خشبي خشن على رأسي! شعرت منها بطنين يخربش طبلة الأذن..

تظاهرت بالفرح مسرعة وأنا بداخلي أدعو أن تُخطف روحه!

وصلنا الى المستشفى..

نزلنا وسط دفع السرير من قبل المسعفين باتجاه غرفة العمليات..

مكثت نحو ثلاث ساعات أنتظر بالخارج.. ثم أتى المحقق كي يأخذ أقوالي ويسجلها رسمياً..

كنت أخشى أن يكتشفوا أمره كإرهابي.. ومن ثم يحضر اسمي ويكتشفون أمري.. لكنني بداخلي بعض الطمأنينة لأنه سبق أن أخبرني بأنه أذكى من أن يكتشف أحد أمره.. لأنه حذر جداً.. وأصعب من أن يقع في ورطة كهذه.. وبالفعل لم ألاحظ ذلك أبداً من خلال تعاملهم معه, خصوصاً بعد تسجيلهم اسمه بالمحضر وبقائمة النزلاء بالمستشفى..

ولكن ما كان يخيفني وقتها أكثر من أي شيء.. هو ضياء!

أن استيقظ.. بالتأكيد سوف ينتقم مني بعد ضربي له بهذه الطريقة البشعة!

كنت أتساءل مع نفسي: ماذا علي أن أفعل؟

مقاطع الفيديو التي تحمل جريمته باغتصابي أصبحت معي..

ولا أستطيع أن أدينه بها عند الشرطة.. لأنني لا أريد فضائح..

وإن حصل.. سيقول إنها زوجتي وحلالي!

وإن هربت من دون بلاغ.. قد يورطني بالأدلة التي جمعتها النذلة خديجة..

ولن يتضرر هو أبداً.. لأنني لا أملك عليه شيئاً أبداً يفيد بتورطه!

الأدلة التي تفيد بتورطي بدعم أعمال تخل الأمن بالبلاد!

لا أعلم كيف سأحصل عليها منها..

للأسف.. أعترف أنني قدمت حماية شرفي على أمن الوطن!

متناسية أن حماية الوطن هي حماية الشرف الحقيقي..

وأنه يفترض علينا التضحية بأرواحنا من أجله.. لكنني لست كاملة!

إنسانة ضعيفة جداً.. سهلة الكسر.. وسريعة الارتباك..

وأعلم جيداً أن طبيعة البشر هنا لا يغفرون للفتاة حتى وإن كانت مظلومة..

وأعترف بأنني لست من النوع الشجاع الذي يقدُم على التضحية..

كنت أخاطب وطني بصوت مسموع..

آسفة يا وطني.. وأتمنى أن تتفهم أسفي.. ووعدته بأن أسعى لأنقذ ما يمكنني إنقاذه..

رأسي.. رأسي.. رأسي يكاد ينفجر من ألم التفكير..

اقترب المغرب..

وشعرت بالإرهاق.. وكنت أخاطب نفسي..

في كل مصيبة أقع بها.. أتساءل لماذا كل هذا يحدث لي وأنا بريئة؟

يفترض أن أكون في حضن زوجي الذي أحببته بصدق..

وليس في ممر المستشفى أنتظر مصير حياة قذر كهذا!!

بعد ساعة من الانتظار.. خرج الطبيب من غرفة العمليات وسألني:

- من تكونين بالنسبة للمريض؟

- زوجته.

ابتسم ثم قال لي:

- لا تقلقين أختي.. زوجكِ حالته الآن مستقرة.. ضربة قوية أحدثت له ارتجاجا ونزيفا خارجيا من حسن حظه..

- ماذا جرى بالداخل؟

- قمت بعمل ست عشرة غرزة وسوف يحتاج إلى وقت معين كي يلتئم الجرح قليلاً ثم يتعافى من الارتجاج تدريجيا.. كنت خائفاً على سلامة نظره ولكن الفحوصات كانت سليمة..

- شكراً دكتور.

- يحتاج إلى ساعة تقريباً كي يفيق من البنج, ومن ثم يمكنك الدخول لزيارته, كوني قوية واشكري ربكِ كثيراً عن نجاته.

غادر الطبيب وبداي تتمنى لو تخنقه من الخلف.. الغبي.. ليته تركه ينزف حتى الموت.. كي تموت معه أسراري التي لا

أريدها أن تظهر وتنهي حياتي..

كنت مرتبكة جداً.. أخشى من ردة فعل ضياء.. ماذا سيفعل لو شاهدني؟

هل سيخبر الشرطة عني؟ هل سينتقم ويتخلص مني؟

هو يعلم تماماً بأن لا أدلة عليه تدينه عند الشرطة من الأساس.. وبالتأكيد لا توجد لديّ أدلة أيضاً.. وإن أخبرتهم.. سيخرج بريئاً.. وستتحول التهمة عليّ بالبلاغ الكاذب أو التشهير..

كلها أسئلة لا تفارق عقلي.. أكررها على نفسي وتخذلني الإجابة بالحضور..

انتظرت حتى استيقظ ضياء.. أخبروني بأنه استيقظ ويسأل عن زوجته روان..

تسارعت نبضاتي.. وفكرت بالهرب.. ولكن المحقق اقترب مني وطلب مني أن أرافقه كي يلقي بعض الأسئلة على زوجي في حضوري..

لم أستطع وقتها أن أرفض, ارتبكت كثيراً.. شعرت من نظرات المحقق لي وكأنه يريد أن يقارن أقوالنا أمام بعضنا البعض.. بعدما شعر بارتباكي وأنا في الممر.. لم أشعر به

وقتها.. لقد كان يراقبني.. أخبرني بأنه يلاحظ ارتباكي بشكل عجيب..

لم أرد عليه.. ودخلت مسرعة حتى وصلت.. ووقعت عيناي على عينيّ ضياء..

تحمدت بالسلامة وسط تصنعي بالرهبة والحزن أمام المحقق..

وسط تبلد نظرات ضياء..

ألقى الشرطي التحية وتحمد له بالسلامة.. ثم سأله:

- لدي بعض الأسئلة البسيطة المهمة.. هل تعرفت على اللص الذي تهجم عليكما وضربك بالمعول؟

نظر إليّ ضياء مندهشاً.. لكنه لم يسمح لدهشته أن تثير الشرطي فأجاب مسرعاً وآثار البنج ما زالت عليه:

- لا.. لم تكن الرؤية واضحة.

دُهشت من إجابته.. وكأن ماء باردا صُبَ على قلبي.. يبدو أنه لا يريدني أن أتورط.. هذه أول مرة أشعر بشيء إيجابي منك أيها الحقير.. والشكر كذلك للمحقق الذي ألقى سؤاله مرفقاً بالقصة التي أخبرتهم إياها من دون أن يشعر..

وكأنها معجزة..

أنهى الأسئلة مع ضياء.. وسألني إن كانت لديّ أي إضافات..

فأجبته بـ "لا".. ثم غادر.

أردت أن أخرج من الغرفة.. فنادى باسمي بصعوبة:

- روان.. إلى أين؟

- هاا.. إلى الخارج قليلاً..

- أعطني الهاتف الخاص بي..

لم ينس حتى وهو بهذه الحالة المزرية.. أخرجته بإحباط وسلمته له..

وهو ينظر إليّ بغضب.. ثم قال بهدوء:

- هذه المرة لم أخبرهم شيئاً.. فعلتكِ هذه لم يسبق وأن تجرأ أحد على فعلها معي.. لقد عفوتِ عنكِ فقط من أجل سبب واحد.. لأني أحبكِ..

ماذا يهرطق هذا الشيطان المجنون.. هل فعلاً ما يقوله؟ ما زال يكررها..

يحبني! كيف؟ ولماذا؟

طلب مني أن أعود إلى الشقة.. وأن أتواصل معه, وأقوم بزيارته إلى أن يخرج..

وحذرني من فعل أي شيء يغضبه.. لأن رده سيختلف كلياً عن هذه المرة!

كان جلوسي وحيدة بالشقة.. لم يغب عن مخيلتي صورة خالد..

كنت أدخل بواسطة هاتفي كل يوم على معرف أخته منيرة بتويتر..

وأتمنى لو أتشجع وأكتب له..

أو يكتب لي هو ونبدأ بالحديث عن أي شيء.. المهم أن نتحدث..

لم أستطع الصبر.. حتى تحدثت معه.. وأجابني..

كتبت له رقم هاتفي بسرعة ثم حذفته بسرعة.. خوفاً من مراقبة ضياء، ومن المحتمل أن يدخل على الحسابات من هاتفه بنفس الرقم السري الذي يعرفه وحده..

دقائق فقط.. ظهر لديّ رقم على "الواتس آب".. كتب لي..

- أهلا!

مهدت كثيراً بالكتابة.. وكان صامتاً.. شعرت بأنه ملّ مما أكتبه..

حتى اختصرت كل شيء.. وأخبرته.. ولا أعلم كيف فعلت ذلك:

- أنا روان.. حبيبتك السابقة يا دكتور خالد..

لم يتحدث أبداً.. ظل صامتاً لأكثر من نصف ساعة..

ثم كتب لي كلمة واحدة:

- مستحيل.

أقسمت له بأنني روان.. وكتبت الكثير من الكلمات.. لكنه خرج من المحادثة!

لم أكن أعلم ما التصرف الصحيح الذي يمكنني اتخاذه..

شعرت بأنني خسرته.. وبأنني تورطت عندما أخبرته.. وفي الوقت نفسه..

كنت أشعر بقليل من السعادة.. لأنني استطعت أن اكتب اسمي أمامه..

وأملك رقم هاتفه الشخصي.. لأول مرة.. خزنته بجهازي تحت اسم.. الدكتور..

مرت نحو خمسة أيام.. ولم يحدثني أبداً.. فقدت الأمل قليلاً عندها..

حتى اختصرت كل شيء.. وأخبرته.. ولا أعلم كيف فعلت ذلك:

- أنا روان.. حبيبتك السابقة يا دكتور خالد..

لم يتحدث أبداً.. ظل صامتاً لأكثر من نصف ساعة..

ثم كتب لي كلمة واحدة:

- مستحيل.

أقسمت له بأنني روان.. وكتبت الكثير من الكلمات.. لكنه خرج من المحادثة!

لم أكن أعلم ما التصرف الصحيح الذي يمكنني اتخاذه..

شعرت بأنني خسرته.. وبأنني تورطت عندما أخبرته.. وفي الوقت نفسه..

كنت أشعر بقليل من السعادة.. لأنني استطعت أن اكتب اسمي أمامه..

وأملك رقم هاتفه الشخصي.. لأول مرة.. خزنته بجهازي تحت اسم.. الدكتور..

مرت نحو خمسة أيام.. ولم يحدثني أبداً.. فقدت الأمل قليلاً عندها..

كانت تمر الأيام كما لو أنها مكررة.. ملل.. ضيق..

كنت ضائقة جداً من بعد موقفي الفاشل مع خالد.. وهذا الضيق جعلني أفكر بكل شيء.. حتى طرأت على بالي فجأة.. صديقتي القديمة في سكن الطالبات.. مريم.. آخر من ودّعتني عندما تركت السكن..

هي فتاة من مدينة جازان.. التي تقع أقصى الجنوب الغربي للسعودية..

الفتاة الطيبة التي كانت تبتسم كلما تراني.. كانت تحبني وتحترمني.. وتهتم لأمري, لكنني لم أبادلها نفس الشعور يوماً.. ربما للمشاكل التي مررت بها منذ دخولي هناك.. كانت تكافح هي وأهلها من أجل النجاح والحصول على شهادتها الجامعية.

بحثت عن رقم هاتفها بين مقتنياتي في حقيبتي الصغيرة.. الى أن عثرت عليه..

أريد أن أتحدث مع أي أحد.. أريد أن أشغل عقلي وتفكيري بأي شيء آخر..

شيء جديد.. حتى لو لبعض الوقت.. أريد لرأسي أن يرتاح من توالي المشكلات..

تخيلوا لو كانت عقولنا تمتلك ذاكرة خارجية..

بحيث نخرجها متى ما نشاء.. ونضعها بجهاز الحاسوب..

ونحذف منها ما نشاء من الضيقات.. ونضيف ما نشاء من السعادة..

ولكن للأسف.. ليس كل ما نتمناه يحدث.. الجميل في الأمنيات أنها بالمجان..

ولها عائدها الإيجابي على النفس والمزاج.. لذلك لا مانع من استحضار بعضها..

في حدود الثانية عشرة ظهراً..

اتصلت بمريم.. ثوان معدودة حتى أجابتني..

ألقيت السلام عليها.. وكالعادة لابد من بعض الرسميات في بداية كل محادثة..

وكأنها مقبلات إجبارية يجب المرور عليها قبل البدء بالوجبة الرئيسية..

إلى أن أخبرتها بأنني روان.. فرحت كثيراً وشعرت كما لو أنها حضنت هاتفها..

قلت في نفسي وأنا أبتسم: كم أنتِ طيبة يا مريم..

سألتني عن أحوالي وعن زواجي.. وأجبتها إجابات سطحية وهربت من إكمال ذلك بسؤالها عن أحوالها وعن دراستها.. أخبرتني بأنها تخصصت في الفيزياء..

وأنها ما زالت بالسكن.. وأن أخاها الصغير سعد.. قرر أن يدرس في الجامعة نفسها.. في حال قبوله بفترة التسجيل القريبة..

كانت تخبرني بذلك وهي سعيدة جداً.. لأن وجود أخيها بنفس مدينة جدة وبنفس الجامعة.. سهل عليها الكثير من الأمور.. فهو الشخص الموكل من قبل أهلها.. أي أنه ولي أمرها الذي يسمح لها بالخروج من السكن في غير ساعات الدراسة.. سعد طيب جداً كما تقول, يتواصل معها دائماً, ويحضر لها كل ما تحتاج اليه من أغراض.. حتى التنزه.. لا يبخل عليها أبداً.. هو نعمة بالنسبة لها..

وهي تحدثني بسعادة عن أخيها.. سرحت بإخوتي الثلاثة..

مجرد إخوان على الورق فقط..هل لأنني أختهم من امرأة أخرى.. ألهذا السبب يقسون عليّ بهذه الطريقة؟!

يتجردون من الدم.. يتركون فتاة وحيدة بهذه الطريقة الرخيصة..

تذكرت وقتها حال أخي أحمد معي.. الذي اختفى فجأة..

بعد أن باعني إلى ذلك الرخيص.. لا أنسى ذلك المشهد.. عندما أخذ المهر من ضياء خلسة..

مهر زواجي.. زواج المسيار.. رأيته وهو يأخذه منه بعد أن مد يده من خلف ضياء وتسلم ظرفا صغيرا أبيض اللون..أخذه منه بطريقة مهينة.. وكأنه كيس ممنوعات وضعه مسرعاً بجيبه كي لا يراه أحداً.. أخذ ثمن أخته.. للأسف منذ ذلك المشهد.. أصاب قلبي الكُره لأحمد.. وقررت أن أعيش كما لو لم يكن قد مر بحياتي أبداً..

سامحك الله يا والدي.. زواجك من والدتي.. ظلمها وظلمني معها..

الرحمة عليك.. ولا أستطيع قول غير ذلك..

من سوء حظي أنني فتاة في هذا المجتمع.. لو أنني صبي.. لما كانت هذه حياتي..

واصلت مريم حديثها الحماسي, الذي لم أكن منصتة اليه..

حتى اخترقت سماء ذكرياتي الملبدة..

اخترقتها بخبر ساحق.. قالت وهي تضحك بكل براءة:

- روان لن تصدقي ما سوف أخبركِ به.. شعرت بأن اتصالك من أجل هذا الخبر.. الأسبوع الماضي.. قامت المشرفة

بالسكن لدينا بنقلي إلى نفس غرفتكِ التي كنتِ تسكنين بها.. مع صديقتك الطالبة خديجة..

يا إلهي! ماذا تقول هذه؟ لم أصدق ما سمعته أذنيّ!

مصيبة سوف تحل على مريم من دون أن تعلم!

تساءلت بقلق وخوف.. هل يعقل أن مريم هي الضحية القادمة؟ هل يعقل أن مريم البسيطة البريئة ستقع بنفس الفخ الذي وقعت به وما زلت أدفع ثمنه حتى هذا اليوم؟

حتى عندما أردت الهروب من مصيبتي التي سببها خديجة.. أجد نفس أهرب إليها!

أنا بحثت عنها, واتصلت بها كي أخرج نفسي من الهموم التي سببتها لي تلك الحقيرة.. وأجدها أيضاً تحتل مدخل المنفذ الذي أردت أن أتنفس من خلاله قليلاً!

إنها كاللعنة عليّ.. تلاحقني أينما ذهبت.. قاطعت مريم فوراً وهي تتحدث:

- مريم صديقتي وحبيبتي.. هل يمكنني رؤيتكِ اليوم؟

- كم أتمنى ذلك.. طبعا يمكنكِ.. أنا أريد ذلك أيضاً.. سأخبر أخي سعد..

- اليوم اليوم.. تعالي إلى شقتي.. شقة قريبة جداً من

سكنكِ الجامعي.. بحي الجامعة.. أنتظر على أحر من الجمر..

- فعلاً قريب.. حسناً.. الخامسة عصراً.. جميل؟

- اتفقنا.. لكن لدي رجاء.. أرجوكِ لا تخبري أحدا بلقائنا هذا.. خصوصاً خديجة.. اوعديني..

- غريب روان! لكن إذا كان ذلك يريحكِ.. حسناً اتفقنا..

- اتفقنا..

أعلم أن أسلوبي كان مريباً.. لكن لأنها طيبة جداً..

لم تلحظ شيئاً من هذه الريبة.. بالتأكيد هي فريسة سهلة جداً بالنسبة لخديجة..

لن أجعلها تنجح.. قررت أن أسعى الى ذلك..

لم تكن نفسيتي تساعدني على التجمل ووضع المساحيق وغيرها..

لذلك قمت فقط بتغيير ملابسي وبتسريح شعري ووضع الشال عليه..

رششت بعض العطر بالصالة التي لا يوجد بها سوى بعض الكراسي البلاستيكية البيضاء المتسخة والطاولة الوحيدة..

مر الوقت بشكل ممل.. حتى اقتربت الخامسة..اتصلت

مريم..

أخبرتها بالعنوان وحددت لها المكان..

دقائق حتى سمعت طرق الباب.. فتحته بسرعة..

كانت مريم تحمل بين يديها صندوقا ورقيا كبيرا وبداخله الكثير من الكعك..

وعلى معصمها الأيمن علقت كيسا يحوي العديد من المعجنات اللذيذة..

وعلى معصمها الأيسر كيسا آخر به بعض العصائر الباردة.. نظرت إليّ وهي تصرخ:

- إلى ماذا تنظرين يا غبية؟.. ساعديني قبل أن تتكسر يداي..

ضحكت من دون إرادة واقتربت منها وساعدتها.. وضعنا الأغراض على الطاولة..

ومن ثم أخذنا بعضنا بالأحضان.. أغلقت الباب.. ثم جلسنا وضحكاتنا لم تنقطع من أحاديثنا.. لاحظت نظرات مريم نحو حالة الشقة المزرية.. كانت مستغربة، لكنها تحاول عدم إظهار ذلك..

أحضرت الشاي لها وتناولنا الكعك والمعجنات.. التي

أحرجتني كثيراً بإحضارها..

لكن الحق يقال.. لولاها لما قدمت لها شيئاً..

وبعد ساعة تقريباً من الضحك والحديث.. بدأ وجهي بالتقلب..

أريد أن أتحدث عن الموضوع الذي يشغلني.. لاحظت هي تحوّل ملامحي..

وقبل أن تسألني عن السبب.. بدأت بالحديث وسألتها عن خديجة مباشرة:

- مريم.. ما رأيكِ بخديجة؟

- الصراحة.. الصراحة.. حتى هذا اليوم لم أفهم تكوينها.. فتاة غريبة وهادئة.. متشددة دينياً كثيراً.. فقط.

- هل ضايقتكِ بشيء معين.. أو طلبت منكِ شيئاً.. هل سبق وأن أخافتكِ؟

- على مهلكِ روان.. لم يمر منذ انتقالي إلى غرفتها سوى أسبوع.. ما بكِ مندفعة بمثل هذا الأسئلة الغريبة؟

تداركت اندفاعي الذي لم ألحظه, كنت حمقاء فعلاً, بلعت ريقي ثم تناولت رشفة من الشاي, وضحكت ضحكة كاذبة ثم قلت:

- لا.. لا.. لكن يهمني أمركِ.. لذلك أسألكِ..

- بصراحة يا روان.. خديجة منعزلة جداً, قليلة الكلام.. وإن تحدثت معي لا تتحدث إلا عن الحروب في سورية والعراق وهكذا أمور.. وأنا كما تعلمين أجهل تلك أمور.. لذلك أتجنب الحديث معها.. اندماجها مع جهاز الحاسوب وسهرها يخيفني قليلاً.. لكن سأتعود على ذلك حتماً مع مرور الوقت.. فقط.

ابتسمت لها.. ثم صمت.. بدأت بالتفكير بطريقة أفاتحها بالموضوع بشكل أعمق.. أخاف أن أندفع وأخسرها.. وأخاف أن أصمت فيصبح الأوان قد فات..

نظرت إليّ.. وحركت يدها أمام وجهي كي تشتت سرحاني.. ابتسمت لها ثم قلت:

- مريم.. هل تثقين بي؟

- بالتأكيد روان.. ولماذا لا أثق؟ على الرغم من المدة القصيرة التي قضيناها سوياً سابقاً..إلا أنني أشعر بالراحة معكِ.. تكلمي..

- باختصار.. أنا أمُر بورطة كبيرة.. سببها خديجة اللعينة..

- خدددديجة!

- نعم.. خديجة لا غيرها.. وأريدكِ أن تحذري منها, ومن أفكارها المتشددة وألا تتعاملين معها أبداً بأي شيء تطلبه منكِ, وأن تحاولي بالانتقال إلى غرفة أخرى, أنظري البيت الذي أسكنه, إلى حالتي.. كله من وراء خديجة.

- معقولة! كيف ذلك؟

أخبرتها بالتفصيل ما حدث معي.. وظلت تستمع لي بذهول.. لم تصدق حجم الكوارث التي حصلت لي طوال هذه الفترة.. رغم أنني أخبرتها بعض ما حصل لي, وليس كل شيء.. حزنت عليّ كثيراً.. صدقتني.. وخافت كثيراً من الأحداث الصعبة التي عانيتها..

وجدت بأنها قد يمكنها إنقاذي.. فقلت لها بوضوح:

- أريد منكِ مساعدتي يا مريم.. وليس غيركِ يمكنه إنقاذي.. خصوصاً أننا نثق ببعضنا، وأنكِ الآن بنفس الغرفة التي تسكنها عدوتي..

- مساعدتكِ! رواااان لا تخيفيني أرجوكِ.. كيف تريدين مني مساعدتكِ من هذه البنت الخطيرة؟

في البداية أخبرتها بأن خديجة تتواصل مع شخصيات خطيرة من خلال جهازها, وهي ومن معها حذرين جداً بكل ما يخص أمانهم وسريتهم.. لذلك لا يقبلون أحداً معهم..

إلا بعد أن يمسكوا عليه أدلة خطيرة.. فأخشى أن أتورط بنشرهم لتلك الأشياء أو تسليم ما يدينني للأمن, وأنا لا أمسك عليهم أي دليل..

كانت الحيرة واضحة على وجه مريم.. وضعت كوب الشاي ولم تكمله..

ثم بدأت فجأة تتكلم بحماس وغضب على خديجة.. وتسترجع بعض المواقف التي حصلت معها بالمرات القليلة التي تحدثتا بها..

شعرت بأنها تفهمت موقفي.. وطلبت مني بهدوء معرفة ما يمكنها أن تفعله من أجلي..

فرحت كثيراً بتجاوبها وتعاطفها معي.. وبدأنا نفكر سويا كيف نخطط لنجاتي..

لم أتوقع أبداً أن يمر كل شيء بهذه الانسيابية.. كم هي طيبة وحنونة مريم..

أخبرتها بأن كل المصائب والأدلة الخطيرة التي بحوزتها تحتفظ بها على الذاكرة الرئيسية لجهاز الحاسوب الخاص بها.. ولا تخرجها أبداً أو تضعها بذاكرة خارجية خوفاً من الضياع.. لذلك كلما أرادت الخلود إلى النوم.. تضع جهازها تحت فراشها وتنام فوقه.. لاحظت ذلك عندما كنت معها..

هذه المهمة التي أريد من مريم أن تنفذها..

وكما كان متوقعاً.. رفضت بقوة في البداية.. وتنبأت بالمصائب التي قد تحل عليها, عند اكتشاف خديجة لاختفاء جهازها.. خصوصا أنها الفتاة الوحيدة التي معها بالغرفة..

الحقيقة.. لقد كانت تنبؤاتها حقيقية وواقعية.. ولكن لم يمنعني ذلك من الاستمرار من إقناعها.. خصوصاً أنني كنت على يقين بأن الحقيرة خديجة لن تخاطر بالمجاهرة باختفاء الجهاز.. ولن تبلغ عنه أبداً..

لا الشرطة ولا حتى إدارة السكن..

لأنه في حال اختفائه.. ليس أمامها سوى الإنكار بأنه ليس جهازها, حتى لا تتورط..

أعلم بأنها لا تقل حذراً عن ضياء.. هي لن تترك أي أثر بالجهاز يدينها, تماماً كما يفعل ضياء بكل تحركاته.. لكن كل ما يهمني بالجهاز.. الأدلة التي تدينني أنا..

أمثال هؤلاء.. يستعدون جيداً للأحداث الطارئة.. كنت فقط أخشى من شيء واحد..

أنها ربما قد تضر مريم في حال غضبها منها.. أو الشك بها..

سألتها:

- هل يمكن لأخيك سعد أن ينتظرك بالخارج غداً حتى تقومي بالخطة؟

- نعم، ولكن بعد يومين لديّ مناسبة.. احتفال صغير لقريباتي بمنزلهم هنا بجدة.. ما رأيكِ لو بعد أسبوع؟ كي لا يشك أخي أو يتذمر من كثرة خروجي..

- جميييييل سيكون موعد الخطة بنفس يوم حفلة أقاربكِ!

استغربت مريم التوقيت.. وأخبرتها بزوال هذه الغرابة عند استماعها لي..

لذلك قمت بترتيب خطة محكمة.. وشرحتها بالتفصيل لمريم.. وكانت كالآتي:

تسعى مريم بأقرب وقت من الحصول على منوم قوي!

ومن ثم تضعه بحذر في كوب خديجة الذي تشرب منه وقتها، من دون أن تراها، ثم تنتظرها حتى تنام.. قبل هذا كله ترتدي مريم عباءتها وتستعد أمام خديجة وتخبرها بأنها لديها مناسبة عائلية اليوم مع أقاربها.. تجلس مريم للحديث مع خديجة وتطلب منها متابعة أحداث الحفلة على حسابها بسناب شات.. التي أخبرتني مريم بأن خديجة طلبته منها قبل يومين تقريباً.. سيخدمنا ذلك كثيراً كدليل على خروج

مريم والانشغال بالمناسبة العائلية.. بعد أن تضع المنوم وتشربه خديجة.. تخرج مريم من أمامها بعد أن تودعها قبل أن تنام.. تعود بعد ربع ساعة وستجد أن خديجة غرقت بالنوم استجابة لفعالية المنوم.. عندها تخرج من حقيبتها كيس قمامة تضع به العديد من النفايات ثم تضعه بمنتصف الغرفة.. تطلب من الخدم أن يأتوا للغرفة بعد ساعة كي ينظفوها.. وتخبرهم بأن زميلتها نائمة ولا مانع من التنظيف.. ثم تأخذ الجهاز بحذر وتخبئه تحت عباءتها وتخرج فوراً قبل حضور الخدم.. كل هذا يحدث وسط انتظار أخيها سعد لها بالخارج..

كانت الخطة من اجتهادي وأتمنى أن تنجح..

اتفقنا أن تنفذها بعد يومين.. باليوم الذي سيقام به احتفال أقاربها..

وطلبت منها خلال هذه اليومين أن تسعى باستراق النظر, ومراقبتها عندما تكتب الرقم السري للجهاز, كي نستطيع بعد ذلك من فتح الجهاز والاستفادة منه..

ودّعت مريم بعد ترتيب كل شيء.. أخبرتني بنفس اليوم أنها استطاعت الحصول على منوم فعّال كفيل بأن يجعل خديجة تنام نوما ثقيلا لثلاث ساعات متواصلة..

حصلت عليه من صديقتها التي تدرس بقسم الصيدلة..

حضر اليوم المنشود.. كانت الساعة تشير تقريباً إلى الساعة الثالثة عصراً..

وكنت خائفة جداً من تردد مريم أو فشلها..

لم يتوقف القلق لديّ حتى فتحت الباب ورأيت مريم تضحك وبيدها الجهاز!

دخلت مسرعة وهي ترتجف خوفاً رغم ضحكاتها.. سألتها:

- هل نجحت بالمهمة؟

أعطتني الجهاز بسرعة وكأنها تريد أن تتخلص منه وجاوبت وهي تضحك:

- طبعاً نجحت.. لكن بعد سقوط قلبي بقدميّ.. متُّ عشرات المرات خوفاً حتى وصلت إليكِ.. نجحنااااا..

هجمت عليها وحضنتها هي والجهاز.. حضنتهما بقوة.. وأنا أضحك معها فرحاً..

أحياناً.. يحضر الضحك عندما يتجاوز الموقف حدود الطبيعة..

قد يحدث ذلك.. عندما نعيش تجربة مرعبة تتعدى حدود

الخوف والبكاء..

نضحك من الصدمة.. هذا ما حدث مع مريم..

وأما أنا سبب ضحكي يختلف عنها.. ضحكت من فرط الحزن!

بمعنى.. قد نمر مثلاً بمصائب متتالية..

نشعر من خلالها بأننا أصحاب حظ سيئ إلى درجة مضحكة..

فبعد أن نحزن بالبداية ويتكرر الحزن بشكل غريب.. ننفجر ضحكاً!

ولذلك نقول أحياناً (شر البلية ما يُضحك)..

سألتها إن رآها أحد وهي تقوم بالمهمة.. أو أنها أخطأت أثناء التنفيذ..

لكنها أجابت بثقة رهيبة وهي ساخرة:

- لا أسمح لكِ.. الخطة نفذتها بحذافيرها وبعد كم ساعة ستستيقظ خديجة وتعيش الصدمة.. لا أريد أن أتأخر.. أخي ينتظرني بالأسفل.. أحتاج لشراء بعض الحلويات, والذهاب إلى الكوافير.. قبل أن أسير إلى الحفلة كي أكمل ما تبقى من الخطة.. سوف أصور عشرات الصور كي تكون دليل براءتي..

تفضلي هذه الورقة بها الرقم السري للجهاز.

- رائعة يا مريم.. الرقم السري كنت أخشى ألا نستطيع الحصول عليه.. حسناً لن أعطلكِ.. وأنا كذلك سأذهب لزيارة ضياء, قبل أن تستيقظ وتتصل به خديجة كما هو متوقع كي تخبره بالمصيبة التي حلت فوق رؤوسهم.. كلمة شكرا لا تكفي بحقكِ حبيبتي مريم..

توادعنا و كل منّا ذهب لإكمال مهمته.. ثم أغلقت الباب بإحكام..

## عندما تتوالى الصدمات..

## يهبط الحبيب مثل الوحي!

أخذت نفساً عميقاً.. لأول مرة أشعر بالهواء يدخل إلى شعبي الهوائية..

كنت مبتهجة كثيراً.. قفزت وبدأت بالصراخ فرحاً.. فأنا الآن أملك الدليل القذر الذي كان كالسيف على شرفي وسمعتي.. يستخدمونه لابتزازي ولاستعبادي عندهم وأفكارهم المتطرفة.. وكذلك الأدلة التي تفيد بتواصلي معهم عبر الإيميل والعمل بتصميمات وغيرها من الأمور..

شعرت حينها بأنني حُرة.. أملك ما كان يقلقني.. وسأتصرف معهم بحذر..

حتى أقضي على كل شيء يسعون من خلاله للإضرار بالوطن.. لعلي أكفّر بعضا من أخطائي..

خبأت الجهاز جيداً.. ثم توجهت مسرعة إلى المستشفى عصراً..

ذهابي هذا لأشعره بالأمان وبحسن معاملتي.. كي لا يقلق من ناحيتي..

وكي لا يدخل الشك إليه.. أريده أن يطمئن حتى أضرب ضربتي القاضية..

وصلت إلى المستشفى ودخلت عليه.. كان مستلقياً وحول رأسه الكثير من الشاش..

ابتسم وفرح بمشاهدتي.. سلمت عليه بيدي.. ثم تحدث:

- ألم تشتاقي لي؟ ألن تقبليني؟

لا زال يعيش دور العاشق اللطيف.. لا زال يعيش أوهامه معي..

ابتسمت.. وقلت له كي لا يتضايق مني:

- طبعاً أنت زوجي.. وليس لي سواك هنا.. لكنني أعاني من الرشح قليلاً وارتفعت حرارة جسدي.. هذا ما جعلني أغيب عنك.. وجعلني أتواصل معك قليلاً عبر الهاتف فقط.. آسفة ضياء..

- مريضة؟ لماذا لم تخبريني؟

- ضياااء لا أريد أن أقلقك عليّ.. ثم ألا تثق فيني وبتصرفي؟ لقد أخذت العلاج اللازم لا تقلق.. أنا الآن أمامك وقد تحسنت صحتي.. أخبرني كيف هي صحتك أنت اليوم؟

لا أعرف ماذا يحدث له فجأة وسط حديثنا.. شعرت بأنه

ليس كما عهدته من قبل..

تحولت فرحته بسبب رؤيتي إلى غضب مفاجئ!

نظراته.. حركات فمه الذي يبتسم ثم يعود للحزن.. هذه التصرفات جعلتني أخاف منه.. حتى زيادة شعر شنبه ولحيته.. وكأنه مثل رجل الكهف..

أردت أن ألطف الجو.. تكلمت بطريقة منمقة كلها أنوثة.. فشعرت بهدوئه..

لقد عاد إلى حالته.. حتى أنه طلب مني أن أجلس بالقرب منه على السرير!

رفضت طبعاً متحججة بخوفي عليه من انتقال الرشح الذي أصابني إليه..

قال بطريقة غريبة:

- أنتِ لستِ روان.. لست روان التي أعرفها!

- بل هي.. كل ما في الأمر أنني مريضة فقط.. افهمني..

لم أفهم ما يقصده!

نظر إليّ ثم بدأ بالتحدث معي كثيراً في الأمور المستجدة في حسابات تويتر التي يديرها هو وجماعته.. ولكي لا

أشعره بعدم اهتمامي.. كان لابد أن أشاركه قليلاً، فكنت أردد بعض الكلمات كي يكمل ويشعر بأنني منسجمة معه.. مثل:

(أها , ممم , جميل , رائع , جيد)

إلى أن قطع تلك الأجواء المتوترة التي حلت علينا فجأة.. اتصال!

نظر إلى الهاتف ثم إليّ.. وأخبرني بأنها خديجة..

أخيراً.. حان دورها..

بدا عليّ الارتباك كعادتي.. وشعرت بنغزات تنغز قلبي المسكين..

نظرت إليه وتظاهرت بالزعل من اتصالها، وبأنني لا أطيق سيرتها..

أجابها.. صوتها العالي كاد يخترق الهاتف.. ويخترق أذن ضياء..

كانت تتكلم بسرعة.. وضياء يستمع إليها وهو متوتر يخلخل أصابعه من بين لحيته بتوتر وقلق.. ينظر بكل اتجاهات الغرفة غير مصدق.. إلى أن أخبرها..

بأنه يجب عليها مغادرة السكن بصورة نظامية في أقرب وقت..

وقبل ذلك يجب أن تذهب إلى أماكن تواجد الخدم.. وتبحث بين أغراضهم لعل وعسى..

أنهى الاتصال وبدأ بلعن خديجة.. فتح الدرج الذي بجانبه.. وأخرج منه كيسا به هاتف جديد وشريحة جديدة لا أعلم كيف حصل عليهما.. ووضع الهاتف القديم بالكيس ثم وضعه جانبه.. احتياطات أمنية كما يقول دائماً..

تصنعت الدهشة وطلبت منه الهدوء من أجل صحته، ثم سألته عن خديجة وما الذي

أخبرته إياه؟

أخبرني وهو يفور غضباً.. عن اختفاء جهاز الحاسوب الخاص بخديجة من غرفتها في السكن.. ثم قال:

- لن يضرنا ذلك كثيراً.. لأن الجهاز لا يحمل ما يديننا صراحة..

- نحن مجهولو الهوية عند الجهات الأمنية بفضل حذرنا.. لكن سنفتقد معلومات مهمة ولأعمال قيمة.. مقاطع ممنتجة باحترافية للمجاهدين هناك ولبعض المشاهد القوية الجاهزة للنشر بتويتر مباشرة وبشكل ممنهج.. سهرت عليها خديجة كثيراً وليست هناك نسخ أخرى للأسف..

حينها أيقنت أنها حانت فرصتي للدخول على خط الأحداث!

لقد حانت لحظة المقطع الدرامي الذي قررت ارتجاله أمام هذا المعتوه..

لطمت خديّ.. صرخت صرخة منخفضة.. بكاء كاذب وبدأت بسرد الكلام:

- وأنا؟ وأنا يا ضياء؟ أين وعدك لي! تعلم جيداً بأن مقطع فضيحتي الإباحي على جهاز خديجة كما أخبرتني! والآن من سيقع بحوزته الجهاز سيعثر عليه وسوف ينشره حتماً! لقد انفضحت.. أخيراً انفضحت يا ضياء..

وضع يده على يدي وقال بهدوء وهو يبتسم:

- روان.. أهدئي يا حبيبتي.. ليس هناك أي مقاطع تخصك على جهاز خديجة!

حينها.. انتهى دوري بالمشهد لا إرادياً! وعدت مسرعة إلى واقعي مجبورة!

لقد صدمني حقاً.. شعرت حينها بأن كل المجهود الذي بذلناه أنا ومريم للحصول على الجهاز ذهب من دون فائدة!

لكن ما جعلني ألا أتحسر كثيراً.. أنني حُزت مواد مرئية

مهمة وخطيرة جداً قد تفيد الجهات الأمنية لدينا.. والأهم منع نشرها وسحق مجهودهم, وكذلك يكفي أنني حصلت على الأدلة التي تفيد بتعاملي مع خديجة.. سألته بيأس واضح:

- كنت تكذب عليّ؟ أم تكذب الآن كي أهدأ فقط؟

- لا.. كنت أكذب عليكِ سابقاً من أجل أن تخافي من خديجة.. وتهتمين لأمرها.. فقط.. روان أنا الآن أحبكِ.. هذا يفرق كثيراً معي..

سألته عدة أسئلة كي أطمئن على وضع مريم:

- أها.. جميل يا شيخ ضياء.. ومن سرق الجهاز؟ كيف اختفى؟

- تقول إنها علمت بأن إحدى عاملات النظافة قد دخلت غرفتها وهي نائمة.

- ومن معها بالغرفة؟ ربما شريكتها بالغرفة قامت بسرقته!

- لا لا.. تقول إنها فتاة مسكينة، وقد خرجت من السكن قبل أن تنام وودعتها للذهاب إلى مناسبة عائلية..

- حقاً؟ أتمنى أن تجده على الرغم من أنني لا أتقبلها أبداً.

أنهيت الحديث معه وتأكدت من أن التهمة قد توجهت نحو

عاملات النظافة بنجاح..

المهم من هذا كله أنني ارتحت لوضع مريم.. لقد أصبحت مريم الآن في نظرهم بريئة، وليس هناك مجال للشك بها.. لقد بلعوا الطعم ومضت عليهم الخطة مثلما خططنا..

بعد مرور عشر دقائق على مكالمة خديجة وحديثي معه..

أخبرته بأنه يجب عليّ المغادرة..

لم أكمل جملتي.. حتى ثار غضبه!

ركل الطاولة التي أمامه بقدمه, وأسقط كل ما عليها..

اقتربت منه كي أهدئ من غضبه, لكنه قام بخنق رقبتي بيديه بقوة! ثم بدأ يصرخ:

- أنتِ تتظاهرين بأنكِ روان؟ أتريدين استغلال ذلك لقتلي؟ أين روان؟

تجمدت رموش عينيّ ولم أصدق ما يتفوه به هذا المجنون.. ماذا حصل به فجأة؟

حاولت إبعاده عني من غير فائدة.. حتى واصل صراخه:

- النجدة.. النجدة..

كل هذا حصل وأنا عاجزة بين يديه, أنتظر معجزة كي

تنقذني من بين يديه، التي كانت أشبه بفكيّ ضبع تمكن من القبض على غزال شارد.. ينتظر الفرج..

كان يواصل الخنق أقوى فأقوى.. وأنا أحاول الصراخ من غير فائدة..

عيناه المخيفتان مصوبتان نحو عينيّ التي لا تملك سوى مبادلة النظرات..

حتى أنفاسي.. شعرت بتراجعها وكأنني أتنفس تحت التراب!

إلى أن تدخلت أخيراً الممرضات..

حاولن جميعهن إبعاده.. إلى أن تدخل أحد الأطباء.. أبعده بقوة وأعاده إلى السرير..

لم يتوقف عن توجيه الاتهامات لي.. ولم أكن سوى كتلة هامدة لا تعلم ماذا يحدث!

عجزت أن أرد عن أي شيء.. حتى أخرجني الطبيب بعد أن طلب من إحدى الممرضات إعطائه إبرة مهدئة كي ينام..

طلب مني الطبيب مرافقته إلى مكتبه الخاص.. توجهت معه وأنا أرتعد خوفاً مما قام به الحقير ضياء معي.. لقد أخافني كثيراً.. أمشي بالممر ولا أسمع سوى صوت نبضاتي

بالداخل تتصادم خوفاً..

طلب مني الجلوس.. وطلب لي كوب ماء باردا.. ثم جلس وسألني:

- هل صحيح أنكِ حاولتِ إيذاءه؟

- دكتوووورا مستحيييل.. ولماذا أقوم بذلك؟ كنا نتحدث بشكل عادي وكان طبيعياً في أسلوبه.. صحيح أنني تعودت على تقلب مزاجه.. لكنه بدا لي غريبا هذه المرة.. نظراته.. صوته.. اتهاماته الغريبة.. فجأة تهجم عليّ وحصل ما حصل!

سكت الطبيب قليلاً, ثم حك خده وأزاح نظارته الطبية الذهبية عن وجهه.. ثم قال:

تحسنت الرضوض من رأس زوجكِ المريض ضياء.. واقترب من الشفاء.. لكنني لا أخفيكِ من تعاملنا معه.. شعرنا بأنه غير طبيعي!

- لم أفهم دكتور.. ماذا تقصد بأنه غير طبيعي؟

- طوال مسيرتي العملية.. تعودت على أن أكون صديقا للمريض.. من أول لقاء يحدث بيني وبينه.. كي أشعره بأنه بين أيادي أمينة.. فكما تعلمين.. نصف العلاج بالمستشفيات هو علاج نفسي.. إذا ارتاحت النفس.. سهل العلاج..

لذلك صادقت ضياء من اليوم الأول.. تعود عليّ وأصبح يطمئن لي.. أسبوع فقط.. تغيرت نفسيته واتهمني نفس الاتهام الذي اتهمكِ به قبل قليل!

اتهمني بأنني أريد أن أصيبه بضررا! وأنني أتنكر بهيئة طبيبه وأريد قتله..

هذا الأحمق ضياء.. لماذا لا يخرس حتى يغادر المستشفى، قبل أن تتفاقم حالته بنظر الأطباء؟ حضر كوب الماء متأخراً، كان بارداً فعلاً.. لكنه لم يطفئ حرارة جسدي التي سببها الخوف المتواصل.. ما زال مشهد هجومه عليّ ونظراته حاضراً أمامي.. واصل الطبيب كلامه المعقد بالنسبة لي.. وقال وهو ينظر إلى الطاولة:

- لا أخفيكِ أنني عرضته أمس على طبيب نفسي يملك خبرة كبيرة باختصاصه، من دون أن يعلم زوجكِ! ومن خلال بعض الكشوفات والاختبارات التي قام بها.. توصل إلى نتيجة لم يكن متأكدا منها تماماً.. لكنه طلب مني أن أخبره لو تكرر هذا المشهد مع أحد أقارب ضياء المقربين.. وعندما قرأ بالملف اسمك ورقم هاتفكِ وعرف أنكِ زوجته، طلب مني أن أنقل له ما يحصل معكِ عند زيارتكِ لضياء.

- دكتور.. تكرر معي ما حصل معك! ماذا تريد أن تقول.. اختصر بعد إذنك؟

سكت مرة أخرى وكأنه متردد من الحديث.. ثم دخل في متاهات ليس لها أي داع.. كثير من الأطباء يظنون أن تأخير الأخبار الصادمة هو أسلوب مفيد لذوي المريض.. ولا يعلمون أن ذلك يتلف أعصابهم أكثر مما يتخيلون.. بعد أن لاحظ امتعاضي واقتراب نفاد صبري.. اختصر كل شيء بكلمتين:

- (متلازمة كابجراس(11))

نظرت إليه نظرة كلها بلاهة.. عدلت نقابي وعباءتي وجِلستي..

وكأنني أريد أن أتأهب بالتركيز بما يقوله.. معلومات جديدة لم أتوقع سماعها يوماً..

واصل حديثه.. وحاول جاهداً أن يلخص لي نوع هذا المرض النفسي الغريب.. وأعطاني أمثلة كثيرة حدثت لمرضى آخرين بمختلف دول العالم.. أخبرني بأن لا علاج له على المدى القريب.. وبأنه لا يجزم بشفائه.. كذلك لا يستطيع أن يجزم أنه لن يعود لطبيعته..

طلبت منه أن يكتب لي اسم المرض على ورقة كي لا أنساه.. وسأبحث عنه بالمواقع الإلكترونية.. أتمنى أن تكون مجرد اجتهادات طبية من الدكاترة.. لا أقوى على القلق أكثر..

شكرت الدكتور على أمانته واهتمامه.. ووعدني بأنه سيهتم أكثر..

خرجت من المستشفى.. وأنا محبطة ومتألمة..

لا أحب أبداً المواقف المخيفة المفاجئة.. إنها تؤلمني كثيراً.. تجعلني مضطربة..

ولا أقوى على فعل أي شيء.. وقفت على الرصيف.. أنتظر سيارة أجرة كعادتي بالتنقل منذ دخول ضياء المستشفى..

وقفت وبجانبي عشرات العجائز والفتيات ينتظرن مثلي سيارة أجرة وبعضهن ينتظرن أحد أفراد أسرتهن من الذكور كي يأتوا إليهن.. ينتظرن معرضين أنفسهن لمواقف لا تحمد عقباها..

في خضم آلامي.. فكرت وأنا واقفة في هذا المنظر الذي كان وما زال مألوفا بالشوارع لدينا.. وصلنا إلى هذا الزمن بعد الألفية الثانية.. وما زلنا نتجادل..

هل يحق للمرأة أن تقود عربتها الخاصة أم لا؟! هل ذلك حلال.. أم حرام؟

هل نسمح أم لا نسمح؟ قديماً كانت الأغلبية الساحقة ترفض مجرد المناقشة!

بل إن من يطالب بذلك علناً.. يتهم في رجولته وشرفه!

أما اليوم.. فقد تبدل كل شيء..

تغيرت العقول مع تغير الزمن.. وحضر الانقسام بالآراء!

وسيأتي اليوم التي تقود به المرأة هنا في بلدي.. ليس فقط السيارة..

بل ستقود وزارات بأكملها.. إن لم يأت ذلك غداً.. فسوف يأتي بعد غد..

قررت أن أبعد عن تجمعهن، كي تزيد فرصي..

انتظرت قليلاً حتى وقفت لي سيارة أجرة يقودها آسيوي..

أخبرته العنوان.. ثم ركبت بالخلف.. وكعادة أغلب السائقين.. كان يسترق النظر من خلال مرآته الأمامية المعلقة.. لكنني لم أعره أي اهتمام..

ولم تكن حالتي النفسية مستعدة، كي أوقفه عند حده.. تركته حتى أوصلني..

ثم حاسبته وصعدت إلى الشقة..

غريب ذلك اليوم.. كان مليئاً بالأحداث الدسمة المتتالية..

وصلت إلى المنزل قرابة السابعة مساء..

ومن سوء حظي.. كان الماء مقطوعاً.. سحقاً لهذا المبنى المتهالك..

اكتفيت بتبديل ملابسي.. وغسل وجهي من الماء المخصص للشرب..

ثم أخذت كوب عصير باردا.. وجلست تحت التكييف بالصالة..

اتصلت بمريم كي أطمأن عليها.. وأخبرتني بأن كل شيء على ما يرام..

كنت أفكر بما قاله لي الطبيب عن المرض النفسي الذي أصاب ضياء..

حتى بدأ فضولي بخصوص جهاز خديجة.. على الرغم من إرهاقي، إلا أنني قررت أن أفتحه الآن وأن أبحث في محتوياته.. كي أتأكد من أنه لا يوجد به ما يخصني، ومن ثم سأتخلص منه كي أرتاح ويطمئن قلبي، أحضرته وأخرجت الرقم السري من حقيبتي..

شعرت برهبة عند قبول الجهاز للرقم السري بعد إدخاله..

خلفية الشاشة كانت كما هي عندما تركت السكن آخر مرة.. لم تغيرها.. أذكرها جيداً.. خلفية زرقاء بسيطة.. ولا توجد

ملفات كثيرة على سطح المكتب.. سوى بعض الصور العادية وملفات صوتية للقرآن الكريم..

قمت بالدخول على الملفات الداخلية.. كانت مليئة.. فبدأت بالبحث..

كانت ملفات صور.. صور حيوانات وأشخاص, وصور لبطاقات أحوال مدنية وجوازات لأشخاص.. ملف آخر كان يحمل صورا لمحادثات بتويتر والواتس أب مع أشخاص..

بنات وشباب.. ربما كانوا ضحايا سابقين لا أعلم كيف كانت نهايتهم, أو أعضاء جدد يتم تهديدهم أو التعامل معهم..

واصلت التجول بين الملفات قرابة النصف ساعة.. حتى أصابني الملل ثم النعاس..

وبدأت بالتثاؤب.. ومسح دموع الإرهاق التي تُذرف وحدها كلما فتحت فمي..

حتى وقعت عيناي على صور غريبة!

صور لأشخاص مسلحين.. يتواجدون بمزارع أو أماكن ترابية بها مناطق خضراء متقطعة لا أعلم كيف أوصفها.. لكنني متأكدة من أن مثل هذه المناظر هي بخارج الأراضي السعودية.. واصلت التجول بين الصور..

حتى عثرت على ثلاث صور لضياء وهو يقف يتحدث مع بعضهم!!

هذه الصور ربما قد تكون وحدها.. كفيلة بإدانة ضياء!

تساءلت وأنا مستغربة بوجودها هنا.. كيف وصلت إلى خديجة؟

هل يعلم ذلك ضياء؟ أم أنها ورقة تهديد كانت تحفظها خديجة لاستخدامها

لو استجد في الأمر شيء, لو حاول أحدهم الغدر بها من أفراد الجماعة مثلاً؟!

الكل هنا لا يأمن الآخر.. هكذا هم المجرمون مع بعضهم..

واصلت النظر إلى الصور..

حتى أنني أصبحت أتجاوزها بشكل سريع تجاوزاً للملل الذي أصابني..

إلى أن شعرت وكأن ضربة برق اقتحمت عيناي!!

هل أنا أحلم؟ أم أمر بكابوس لن يختفي حتى أستيقظ؟

توقفت عند صورة!

حرارة طاغية اجتاحت جسدي كاملاً.. شعرت للحظة

وكأنني أنصهر!

ماذا يفعل هنا بين هؤلاء؟ وكيف وصل إلى جهاز خديجة؟

وبصورة أخرى يجلس بجانب ضياء!

تجمد الدم وتوقف عقلي عن الاستيعاب.. كان يرتدي زياً أسود ويلف رأسه بقماش بنيّ اللون.. صورة واحدة فقط.. وبقية الصور كان يظهر بها ملثماً..

لقد كان.. أخي أحمد!

قربت الصورة بيدي المرتعشة.. وتمعنت النظر.. لم تصدق عيناي ما تراه..

تمنيت لو أنها صور مفبركة.. لكن للأسف.. كانت ذات جودة عالية ويتضح أنها حقيقية بما لا يدع مجالاً للشك..

لم أصدق.. ما العلاقة التي تجمع بين أخي والحقير ضياء؟

سألت نفسي هل أخي داعشي؟ أبعدت الجهاز عني وانهمرت في البكاء..

لم أبكِ مثل ما كنت أبكي بحرارة ذلك اليوم..

أحسست بأنني ضحية مؤامرة قذرة.. حاكها أقرب الناس لي.. أخي!!

حضرت أمامي جميع الأحداث التي جمعت ضياء بأحمد..

حضر مشهد يوم كتب كتابي المشؤوم.. تذكرت حماس أحمد وموافقته وإقناعه لإخواني بالموافقة.. تذكرت حصوله على مبلغ مهري من ضياء.. مبلغ قيمتي الرخيص إن جاز التعبير, تذكرت وجود نسخة من مفتاح الشقة معه.. وتذكرت أمورا كثيرة.. لم أتوقع أبداً أن يكون هناك شيء كهذا يحاك من ورائي..

بكيت كثيراً حتى سمعت صوت هاتفي.. وكأنه رسول من السماء..

جاء لإنقاذي من حجم الكارثة التي مررت بها..

لم تصدق عيناي هذا الاتصال.. لقد كان اتصالاً من "الدكتور".. كان خالد!

وكأنه شعر بي.. أجبته مسرعة.. تمنيت لو أنه أمامي.. كي أجفف دموعي على قميصه.. وأطفئ نيران قهري على صدره الذي لطالما تمنيته..

أجبته وأنا أبكي بقوة.. حاول تهدئتي وفهم السبب, لكن تلعثمي بالكلام يمنع وضوح حديثي.. أخبرته منهارة بأنني أريد رؤيته الآن..

لم أصدق بأنني كنت أحدثه..

وشعرت من خلال صوته بدهشته عندما سمع صوتي وتذكر نبرته..

أخبرني متلعثماً عن عنوان مطعم في شارع التحلية.. توجد به جلسات عائلية..

قمت بسرعة.. خبأت الجهاز بمكان آمن.. وضعته داخل سلة ملابسي المستعملة..

ثم قمت بتغطيته بالملابس, ووضعت السلة خلف الباب.. الخوف أحياناً يجعلك تقوم بتصرفات تشعرك بالأمان رغم أنها بسيطة..

غسلت وجهي مرة أخرى من ماء الشرب.. ولم أفعل غير ذلك, وارتديت عباءتي وتوجهت فوراً إلى المطعم..

لم أشعر بتحركاتي.. كنت ضائعة وأريد خالد فقط..

كانت الساعة قد اقتربت من التاسعة مساء..

وصلت إلى هناك.. وجدته ينتظرني بالقرب من المدخل.. كان في كامل أناقته.. وكنت أنا كفتاة مشردة.. وفي قمة تعاستي.. من يرانا يعلم أننا لا نعرف بعضنا..

ابتسم عندما شاهدني.. غير مصدق ذلك.. كان مستغرباً من

هيئتي الرثة..

لكنني لم أكن مبالية بذلك.. كنت أريد أن أتحدث.. أتحدث وفقط..

فالمصائب التي ترفض مفارقتي.. تجعل الاهتمام بالمظهر آخر أولوياتي.. كان كل تركيزي على ملامح خالد.

لم أصدق أنني كنت أتوجه نحوه بقدميّ.. كنت غير مصدقة لما يحدث معي وقتها..

الحقيقة أنا أكذب.. لقد انتابني شعور بالقهر عندما قرأت نظراته!

هو أكثر شخص يهمني.. لذلك يهمني أن أظهر أمامه بشكل جميل..

من نحبهم.. يجعلوننا نلتفت إلى أدق التفاصيل فينا.. هناك الكثير من الأشياء التافهة.. لكنها تصبح مهمة جداً إذا كان من سيشاهدها أشخاص مهمون في حياتنا.

المهم.. دخلنا إلى المطعم سوياً.. وجلسنا في إحدى الجلسات المغلقة..

لم أشعر بالقلق ولا بالارتباك.. إلا عندما جلست ووضعت حقيبتي بجانبي على الطاولة.. ووقعت عيناي على عينيه..

ابتسم وقال ممازحاً:

- مر زمن لم أشاهد هذه العينين.. لا آسف شاهدتها آخر مرة بتركيا..

أحرجني كثيراً.. لقد نسيت كل شيء.. نسيت السبب الذي أتيت هنا من أجله..

وكأن ذاكرتي مُسح كل ما بها من معلومات.. تساءلت صامتة:

هل فعلاً أن أجلس الآن بكل سهولة أمام خالد؟

قال بهدوء:

- ما بكِ روان.. تحدثي.. لن أحرجكِ.. ما سبب كل هذا البكاء بالاتصال؟ لقد قلقت عليكِ كثيراً.. أخبريني.

وكأنه صفعني.. وأعاد لي ذاكرتي.. طلب لي وله قهوة سوداء كي أستعيد نشاطي, وأتحدث قبل أن نطلب سوياً العشاء كما أخبرني..

أخبرته بصوت متعب ومنخفض بعدما اقترب مني كي لا يسمع حديثنا أحد..

رغم وجود الحواجز الخشبية بيننا وبين الطاولات الأخرى..

أخبرته بالكارثة الجديدة التي لخبطت كل مخططاتي..

لقد كان مصدوماً ومندهشاً كما بدا لي وهو يسمع مني.. ولا ألومه على ذلك..

وكأن لسان حاله يقول: ما هذه العائلة التي تعتنقها المصائب اعتناقاً وثيقاً..

لم يقطع حديثي عن مصيبة أخي أحمد سوى وصول القهوة.

وضع النادل الفنجانين على الطاولة، ثم قال وهو مبتسم: استمتعا.. ثم غادر..

لم يتمالك خالد نفسه وانفجر ضاحكاً!

نظرت إليه مستغربة، ثم قال ممازحاً وهو يضرب كفيه ببعضهما:

- أي متعة يا رجل.. لو تستمع إلى جزء من الكوارث التي تنزل عليّ كالصواريخ, لأدركت أنه حتى مائة كوب من القهوة لن تخلق المتعة هنا..

لم أستطع أن أكتم ضحكتي.. فضحكت كثيراً على كلامه وعلى حالي..

لقد شعرت بالراحة بعد الضحك.. اعتقدت أنني نسيت شكل

الضحك..

نسيت طعمه، وما يخلفه من راحة على عضلات الوجه..

قال لي بعد أن ساد الصمت عند انتهاء ضحكاتنا:

- روان.. الآن تأكدت فعلاً بأنكِ كنتِ مجبرة على الزواج من ذلك الحقير.. وأنكِ ضحية.. يثبت ذلك علاقة أخوك أحمد معه للأسف.. وأفعاله غير المشرفة معكِ..

- ولماذا تصدقني؟ ربما أكذب عليك..

- تكذبين على العالم كله.. ولا تكذبين على خالد.. أنتِ صادقة وأنا الآن أتألم كثيراً من أجلكِ.. لم أتوقع أن يحدث بكِ كل هذا بعد أن افترقنا.. لكن الآن لن أتركك يا روان.

- وحياتك خالد؟.. وزوجتك!

- توفيت والدتنا قبل خمسة أشهر تقريباً.. ومنيرة الغبية متزوجة..

فوجئت كثيراً بهذا الخبر.. وحزنت كثيراً على والدته الطيبة جداً..

ولم أعرف ما أقوله وقتها:

- خاااالتي أم خالد!.. يااه.. رحمة الله عليها.. آسفة يا خالد.

- لا عليكِ.. وأما الزواج فلم أتزوج بعد.. ولم أفكر أبداً بالزواج من بعدكِ.. لم أخرج من ألمي.. ولم أقوَ على نسيانكِ.. ولم أصدق حتى هذه اللحظة أنكِ أمامي بكل بساطة.

فرحت كثيراً بما سمعته.. ولم أستطع أن أعبر بشيء سوى بالبكاء..

لقد غرق نقابي بالدموع.. وكان يطلب مني الهدوء ويعطيني المناديل وعيناه تدمع وهو يقاوم بإخفائهما..

ثم واصل حديثه وهم منخفض الرأس محرجاً مما يقوله لي من اعترافات:

- من دونكِ كنت أعيش فوضى.. لا أخفيك أنني اتخذت الطريق الخاطئ!

تبنيت مقولة أحد أصدقائي عندما أخبرني.. بأن الحل لمعاناتي معكِ..

أن أنسى! وعندما سألته بشغف وفضول.. كيف يمكنني ذلك؟

قال وليته لم يقل:(انسى النساء بالنساء!)..

أخبرني بأن الغارق إذا لم يستطع أن ينجو.. الحل الوحيد أمامه أن يزيد نفسه بالغرق.. كي يرتاح من سكرات الموت

التي تنهش أنفاسه أثناء مقاومته!

وحالتي هنا كما نصحني.. أن أغرق بالنساء أكثر!

أن أتعرف واصطاد وأسهر!

وللأسف.. رأيت مقولته كالقشة التي بالمحيط..

فتعلقت بها.. ولم تنجح من إنقاذي ولا حتى من إغراقي!

بل جعلتني معلقاً.. متألماً أكثر..

دخلت عالم المجون مع بعضهن وفي كل ليلة قبل أن تبدأ..

أتحسر.. ولكي أهرب.. كنت أواصل.. وأتقدم أكثر.. وعندما يحل الصباح..

أندم وأندم وأندم.. ولا يُذهب الندم المؤقت.. سوى علاقة جديدة..

حتى يتجدد مرة أخرى.. ويستمر الندم..

إلى أن قطعت ذلك.. من دون أن أعلم كيف حصل ذلك.

مؤلم حديثه بالنسبة لي.. لكنني لن ألومه.. فما حدث منه, ما كان سيحدث لو كنت معه.. لو كنّا سوياً.. كذلك ما حدث لي.. الأجمل رغم كل خطاياه السيئة..

أنه كان صريحاً معي.. وأخبرني بوضوح كل ما تورط به

وهو نادم أشد الندم..

أخبرته تفاصيل أكثر من دون تردد.. وبخوفي كثيراً من بعض الأمور..

كنت خائفة.. لكن لابد أن أتكلم حتى أرتاح.. تجرأت وأخبرته بغدر ضياء فيني وبفعلته الشنيعة.. نزلت دموعه وكان يتجرع القهر وهو يستمع إليّ..

توقعت ردة فعل أقوى.. لكنه خالد.. لم يتغير.. طيب القلب.. خصوصاً معي..

لو كان شخصاً غيره.. لتركني وحدي على الطاولة وابتعد..

تحدثت من دون توقف.. وكان يستمع وهو متأثر..

كان شكلي مضحكاً ومثيرا للشفقة.. كنت كريمة بالحديث والفضفضة وكان كريماً بالاستماع.. هذا أكثر ما تحتاج إليه أنثى متألمة.. الاستماع بنهم..

تحدثت كثيراً.. حتى لاحظت سرحانه بي وهو يبتسم.. احمّر وجهي..

وتعثرت حركة عيني.. وكنوع من هرب العاجزة.. شبكت يداي ببعضهما..

لكني فشلت.. لم أستطع الهرب.. سألته وأنا في قمة

إحراجي:

- لماذا تنظر إليّ هكذا؟

لم يتردد من إخراج ما يحمله قلبه من مصادمات.. تنفس بعمق ثم قال:

- ربما هذا ليس وقته.. لكني اشتقت لكِ.. لنبرة صوتكِ.. لمواقفنا القديمة.. لوجهكِ الذي لا أذكره إلا وأنتِ صغيرة.. ولم أره منذ أن كبرتِ وبدأتِ بارتداء النقاب.

وقع كلماته كانت كوقع معزوفة ملائكية.. حلت عليّ وأفقدتني قواي..

لم أكن أستطيع أن أكبح تدافع أشواقي.. لم أفكر بحيائي كفتاة, أو أي شيء آخر.. لو كان الأمر بيدي, لارتميت بنفسي إلى حضنه واستوطنته..

أريده وطناً وقبراً.. أريده منقذاً ومنتشلاً..

إن قاومت وأغلقت فمي.. ربما سأموت مختنقة.. كنت أصارع نفسي..

تلك اللحظة بالذات.. كان الحديث مع خالد بالنسبة لي.. بمثابة العودة إلى الحياة.. لذلك.. اغمضت عيني اللتين استقر سواد الأرق تحتهما.. وتحدثت ببطء لاإرادي:

- آآآآخ يا خالد.. وكلمة آآآخ لا تكفي لما أحمله من آلام بداخلي.. اشتقت إليك رغم أنني فقدت الأمل من لقائي بك.. إلا أنه حصل.. أرجوك لا تتركني.. لا أعلم ماذا كنت تخطط قبل أن أظهر في طريقك وأنا محملة بالمصائب.. لكن كل ما أعرفه.. أنني كنت ميتة منذ أن فرقوا بيننا لأسباب لم تخطر على بالنا, منذ أن كنا صغاراً نلعب مع بعضنا, والآن شعرت ببعض الروح تدب بداخلي منذ لقائك.. أقسم لك بأن ما حدث لي في غيابك من أمور مأساوية وقذرة.. ليس لي فيها أي إرادة.. كنت وحيدة.. ضائعة.. خائفة.. لا أهل حولي.. ولا شخص قريبا أبداً.. كنت ذليلة..

اختياري للدراسة في جدة سببه الهرب من أمور كثيرة.. أهمها فقدانك..

قاطعني.. بعد رفع حاجبيه وكأنه رفض حديثي:

- روان.. لا تشرحين.. أحسست بما يجول داخلك.. كل ما علينا فعله الآن أن ننظر إلى الأمام.. كل ما علينا فعله هو إنقاذك من شباك ضياء المعقدة.. فقط.

كررت إخباري له عن تقلبات المزاج التي يمر بها ضياء قبل دخوله المستشفى, وتطورها بشكل مخيف بعد إصابته, وعن كل ما قاله الطبيب عن حالته.. وخصوصاً عن نوع المرض الذي يشتبه بأنه مصاب به..

أخبرني خالد بأنه يعرف المرض المسمى بـ (متلازمة كابجراس) وأنه قد قرأ عنه سابقاً، لكنه يفضل التأكد.. لذلك اقترح عليّ أن أتصل غداً على ضياء وأن اختبر تفاعله مع صوتي.. ومن ثم زيارته مرة أخرى بالمستشفى بعد المكالمة بساعات.. وسنلاحظ مدى الفرق في تفاعله مع صوتكِ ومع لقائكِ.. كنت خائفة من زيارته مرة أخرى, لذلك سألته لماذا أختبره بالصوت وباللقاء؟ فأخبرني بأن هذه الحالة بالذات، كما أخبرني الطبيب سابقاً بالفعل، تجعل المريض يشك في أن الشخص المقرب منه والذي يقف أمامه الآن ليس هو!

وإنما هو نسخة مخادعة وهمية تنكرت على هيئة الشخص المقرب من أجل أن يقترب منه ويقتله!

ولذلك يثور فجأة ويتهجم مدافعاً عن نفسه من الموت!

هذا يحدث فقط بالنظر.. عند مشاهدته هكذا موقف..

ولكن لا يحدث بالصوت أبداً!

استغربت من فارق التأثير لدى المصاب.. بين الصورة التي يشاهدها وبين الصوت الذي يسمعه لنفس الشخص! أخبرني خالد بكل بساطة..

لأن الوهم لا يمكن أن يمر بالصوت!

بالنسبة له الصوت واحد, وعندما يسمعه من دون أن يرى صورة..

يشعر بالأمان وقتها.. بل إن الحنين يتضاعف لديه, ويصبح مشتاقاً لرؤية صاحب الصوت.. الشخص المقرب..

لم أكن أستوعب وجود هكذا أمراض نفسية غريبة بين الناس.

وبخصوص موضوع أخي أحمد..

أخبرني بألا أخبر أي أحد من إخواني.. على الأقل حالياً كي نوجد حلا سوياً من دون بلبلة.. وطلب مني ألا أواجه أحمد أبداً حتى لو رأيته..

فوصول الخبر إلى أحمد يعني وصوله إلى ضياء.. عندها ستصبح حياتي في خطر, خفت كثيراً عندما أخبرني عن قصص غدر وقتل لدواعش حصلت مع أقاربهم.. مع الأخ.. وولد العم وحتى مع الوالدين!

أيعقل هذا؟ أحمد رغم سيئاته معي.. إلا أنني أشعر بأن هناك مساحة من العطف يحملها بداخله.. لكن أحياناً.. المعتقدات لديهم تنتصر على كل شيء!

حتى على الدم الذي يجمعهم مع أقرب الناس إليهم..

من يدري.. أصبحت أتوقع كل شيء..

لذلك قررت أنني سوف أفعل كل ما يطلبه مني خالد.. على الرغم من أنني أعلم جيداً أن ضياء.. لن يتركني بسهولة..

طلب العشاء وكان لذيذاً.. يكفي أنه معي..

من ضمن الأطباق الذي طلبها لي.. صحن كبير من ورق العنب..

ضحكت عندما شاهدته.. لم ينس أكلتي المفضلة.. والدته كانت تصنعها بشكل لذيذ جداً, وكان يطلب منها أن تخصص لنا طبقاً, كي يأتي به خالد إلى منزلنا من أجل أن يراني ويتحدث معي..

كان يأتي به كلما صنعته والدته منذ تلك المرة التي أخبرته فيها بأنه لذيذ وأعجبني, ووعدني بإحضاره كلما تمكن من ذلك..

الحقيقة أنا من كنت أجاهر بلذته كي يأتي إلينا..

بعد أن انتهينا.. أراد أن يوصلني إلى المنزل.. لكنني رفضت احتياطاً من أن يشاهدني أحد بالحي.. وتفهم ذلك.. عدت بسيارة أجرة كالعادة.. لكن هذه المرة لم أنتظر وحدي على الرصيف..

كان واقفاً معي.. ولم يتركني حتى ركبت السيارة ودفع الأجرة للسائق عني.. لقد أحرجني.. لكنها كانت أسعد ليلة منذ زمن بعيد..

أحياناً تهاجمني بشراسة أفكار مزعجة.. لا ترحمني ولا ترحم حالتي..

أفكار من النوع الصريح الذي نحب ألا تقترب من محيطنا أبداً!

أفكار من النوع الذي يجلب وراءه عشرات الأسئلة.. تلك الأسئلة التي تعري حقيقتنا.. وتعري تلك الصورة مصطنعة الجمال, التي نختفي خلفها ونخفي معنا أحزاننا وانهزاماتنا..

كانت تلك الأفكار هي حقيقة مشاعر خالد نحوي!

تنهار عليّ هذه الأسئلة كلما تحرشت بي هذه الفكرة التي تتعبني كثيراً..

هل ما زال يحبني فعلاً؟ لماذا يساعدني؟ هل هي شفقة منه عليّ؟

لو التقينا في حالة أفضل من هذه الحال.. هل كان سيتقرب مني؟

أهي الحاجة فقط؟ حاجة العاطف على المعطوف عليه؟

كلما جاءتني مثل هذه الأفكار توالت مثل هذه الأسئلة عليّ!

أبعثرها كما نبعثر الضباب عندما يتقدم نحونا..

أشغل نفسي بأمور أخرى.. وأنجح كل مرة.. أتمنى أن أتوقف عن التفكير هكذا..

لأول مرة أعود الى المنزل وأنا مبتسمة.. وعدت نفسي بأن أخلد إلى النوم من دون أن أفكر بأي شيء يمكنه إفساد يومي الجميل.. وفعلاً.. لقد كانت أجمل نومة..

أيقظتني أشعة الشمس.. التي تسربت من خلال ورق التجليد الممزق الذي يغطي زجاج النافذة..

نظرت إلى ساعة هاتفي بصعوبة.. كانت التاسعة صباحاً.. لاحظت وجود رسالة!

فتحتها.. كانت من خالد.. كتب فيها:

(صباح السعادة.. أتمنى أن يبتسم فمكِ الجميل عند قراءتها)..

ابتسمت حقاً.. ومن دون أن أشعر قبّلت الشاشة بقوة..

هذا كثير عليّ.. ليلة حالمة.. وصباح باسم.. سامح الله من أبعدنا..

بعثت له رسالة، بعد أن كتبت ومسحت عشرات المرات مترددة.. حتى كتبت:

(صباحك سعادة.. أنت صانعها)..

أرسلتها وخبّأت الهاتف تحت وسادتي.. ثم هربت إلى الحمام خجلاً أو خوفاً..

لا أدري.. نظرت إلى المرآة ثم حدثت نفسي.. كم أنا جميلة.. خصوصاً هذه المرة..

من حسن حظي بأن المياه عادت هذا الصباح..

غسلت وجهي وأسناني ثم أخذت حماماً.. وبدأت بتجفيف شعري وتمشيطه بعد فراغي.. لبست لبساً خفيفاً..

وضعت الروج.. ليس لديّ غيره.. لونه أحمر فاتح.. ثم وضعت الكحل..

لأول مرة منذ فترة أهتم بترتيب وجهي.. لم أهتم به وأنا بهذا الحماس مثل اليوم..

ثم وضعت العطر بمعظم أنحاء جسدي.. حقاً شكراً بحجم السماء.. خالد..

كانت نفسيتي مرتاحة جداً.. وشهيتي مفتوحة للطعام..

فطرت بشراهة.. رغم بساطة إفطاري إلا أنه كان شهياً..

قطعتا شابورة.. جبن سائل.. كوب شاي أحمر.. به ثلاث ملاعق سكر..

من وجهة نظري.. لذة الطعام تكون في راحة النفس عند تناوله..

انتهيت وأخذت كوب الشاي معي، ثم جلست كي أبدأ بتنفيذ تجربة خالد..

قمت بالاتصال على ضياء.. الذي اقترب من تجاوز يومه العاشر بالمستشفى..

اتصلت.. فأجابني.. كان ينضح شوقاً.. منكسراً.. سألني إن كنت غاضبة منه؟

فأجبته بأن هذا لا يهم.. كان يكرر سؤاله إن كنت قد اشتقت له أم لا؟

وكنت أجيبه بتصنع.. كي أراقب كيف يتجاوب معي..

من كلماته.. خُيل لي وكأنني أخاطب نزار قباني من خلف الهاتف!

أخبرته بأنني سوف أزوره بعد العصر هذا اليوم.. في موعد الزيارة المخصص..

فرح بذلك كثيراً.. أغلقت الهاتف بعد مناحلة وجهد كبير.. كان ثرثاراً..

نظرت إلى الساعة.. كان الوقت مبكراً على موعد الزيارة.. لذلك قررت أن أنام قليلاً حتى يقترب الوقت.. وبالفعل.. لم أقاوم النعاس اللذيذ.. ونمت نومة لذيذة..

لم يفسدها سوى صوت الباب!

كان أحدهم يضرب الباب بقوة.. قمت مفجوعة.. حتى أنني كدت أسقط من على حافة السرير.. نظرت إلى ساعة هاتفي.. كانت تشير إلى السادسة وقت المغرب!

لقد غرقت بالنوم من دون أن اشعر.. وتأخرت على ذهابي للمستشفى..

توجهت نحو الباب.. سألت من الطارق؟ فلم يجبني أحد!

فتحت الباب قليلاً كي أرى من يوجد.. لقد كانت صدمة غير متوقعة أبداً!

دفع الباب بقوة ودخل!

كان يضحك وهو يقول: مفاااااجأة!

لقد كان ضياء!

الأحمق.. هل أنا بكامل وعيي؟ للأسف ما رأيته كان حقيقياً..

قلت وأنا غير مصدقة:

- كيف أنت هنا؟ لماذا خرجت.. كنت سأزورك اليوم..

- الساعة السادسة وملامحكِ تفيد بأنكِ كنتِ نائمة..

- ها.. نعم لم يوقظني المنبه للأسف.. لكنني أخبرتك صباحاً باتصالي بك, أنني سآتي إليك, ولم تخبرني أي شيء يفيد بأن اليوم هو موعد خروجك!

- لم يكن موعد خروجي، لكنني مللت رائحة المستشفى, وعندما طلبت الخروج من الطبيب أخبرني بأن آثار الضربة قد خفت.. ويمكنني الخروج غداً.. لكن إصراري عليه جعله يوافق.. وطلب مني أن أواظب على مراجعته..

قلت في قرارة نفسي..

أنا من مللت منك ومن شكلك ومن رائحتك وصوتك وكل ما يربطني بك..

اقترب مني ولاحظ زينتي التي تزينت بها قبل أن أنام فجأة.. ثم قال وكأنه جائع:

- لماذا كل هذه الزينة غير المعتادة؟ أهي من أجلي؟

نسيت ذلك.. ولكن عندما انتهى من سؤاله كان لا بد من مجاراته.. فقلت:

- نعم نعم.. بالتأكيد.. لأنني كنت أريد زيارتك عصراً كما أخبرتك قبل أن أنام فجأة للأسف.. ما رأيك هل أعجبك؟

- أنتِ تعجبينني في كل حالاتكِ..

اقترب مني وأراد أن يحتضنني.. أبعدته بيدي متحججة بأنه يجب عليه أن يذهب أولاً للاستحمام كي لا ينقل إليّ عدوى من المستشفى.. ولكي أسبق غضبه الذي قد يحل عليه من كلامي.. وضعت قبلة على يدي ثم أرسلتها إليه بالهواء.. قبلة وهمية كاذبة لم ألامسه بها..

فرح بذلك ورأى أنني على حق.. جهزت له ملابسه ودخل إلى الحمام..

ثم ذهبت مسرعة..

كي أغسل يدي بماء الشرب بعد أن لمست ملابسه, قبل أن أتقيأ قرفاً منه..

أكرهه جداً ولم أعد أحتمل وجودي معه.. وضعت هاتفي على وضع الصامت وخبأته في جيبي كي لا أتورط أمامه مع أي محادثة متوقعة لخالد..

ثم أعددت كوبين من الشاي.. ووضعتهما على الطاولة بالصالة وجلست أنتظره..

خرج من الحمام بعد فراغه وهو يرتدي الفوطة فقط!

مكشوف الصدر والكتفين..

وبيده فوطة أخرى يجفف بها شعر رأسه ولحيته الكثيفة..

لا أريد أن أوصف المشهد أكثر من ذلك.. كان مستفزاً بشكل لا يوصف..

تذكرت عندها ذلك المشهد المنحوت بذاكرتي.. بذلك اليوم الذي دمر به حياتي غدراً..

استمر بتجفيف شعره إلى أن جلس على الكرسي بالصالة.. حتى توقف فجأة عن تجفيف شعره! ونظر إليّ!

ثم بدأ يتحدث بنبرة منخفضة.. وبدى صوته مرعباً بعض الشيء..

ابتسمت له مغصوبة بعد أن بلعت ريقي.. وطلبت منه أن يكف عن مفاجآته, وأن يشرب الشاي قبل أن يبرد.. لكنه صرخ بصوت مرتفع:

- من أنتِ؟.. مرة أخرى! تتشبهين بروان.. أين روان؟

- ضياء ماذا تقول؟ يكفي..

- سأقتلكِ قبل أن تنجحين بقتلي!

قمت وابتعدت عنه قليلاً.. ركض نحوي بشكل مفاجئ.. عندها كاد قلبي يتوقف.. فركضت مباشرة وأنا أصرخ خائفة نحو الحمام.. الذي ليس لديّ ملاذ غيره بهذه الشقة البائسة, ومن حسن الحظ أنني تمكنت من إغلاق الباب بالمفتاح بآخر لحظة..

كنت أرتجف.. وأصبحت متأكدة من أنه يعاني من المرض الذي أخبراني به الطبيب وخالد.. كيف سأتعامل مع هذا المعتوه.. لم أتحمله وهو واع.. فكيف سأتحمله وهو مجنون؟

لم أتوقع أبداً أن يأتي يوم وأن أصدق هكذا شيء.. غريب جداً..

لكنه كان واقعا.. جميع الأعراض والتصرفات تثبت على ضياء..

كان يضرب الباب بقوة ويهددني بكسره إن لم أفتح.. وكان يصرخ:

- روان.. روان تعالي ساعديني!

فجأة صمت.. هدوء حلّ بالخارج.. لا أسمع سوى صوت

أنفاسه المتعالية..

بدأت تختفي بالتدرج.. حتى تأكدت من أنه قد ابتعد عن الباب.. أخرجت هاتفي بسرعة كي أحدث خالد.. دخلت على محادثة الواتس أب.. وجدته متصلاً وقد كتب لي كثيراً يسأل عني.. لكنني لم أرَ ذلك للأسف.. لانشغالي بعودة المعتوه..

كتبت له كل ما حدث باختصار وبأخطاء إملائية حيث كانت يداي ترتجفان..

طلب مني متوسلاً بألا أفتح الباب أبداً.. المهم أن أضمن سلامتي منه..

أخبرته بالتفصيل بكل ما حصل منه.. من تقلب للمزاج وإنكاره بمعرفتي فجأة..

طلب مني خالد أن أنتظر قليلاً كي يهدأ ضياء ثم أقوم بالاتصال به على هاتفه!

هذا هو الاختبار الحقيقي الآن.. سنحاول ترويضه سوياً من خلال صوتي الذي يحبه هذا الأحمق!

وبالفعل بعد نص ساعة تقريباً من الهدوء.. طلب مني الاتصال بضياء..

اتصلت به وأجابني خائفاً.. كان يسألني:

- رواان أين اختفيتِ.. هناك امرأة تشبهكِ تتنكر بهيئتكِ.. تريد استغلال حبي للكِ.. كي تتقرب مني وتقوم بقتلي.. لا أريد أن أموت.. أرجوكِ.

صُدمت من حديثه.. فقلت له:

- ضياء لا تقلق أنا بالقرب منك, لقد أخرجت المرأة وأنا الآن بالحمام وحدي.

ترك الهاتف وقام مسرعاً بالاقتراب نحو الباب.. وبدأ ينادي:

- روان.. روان.. هل أنتِ بالداخل؟

- نعم.. نعم.. دقائق حبيبي..

لقد كان هادئاً جداً.. بعدما فقد سيطرته على مشاعره.. ويحدثني كما لو أنه كان نادماً.. وكأنه استوعب بأنه مخطئ.. واقتنع بأنني التي بالداخل!

لقد أرعبني كثيراً.. أخبرت خالد وسألته ماذا يجب عليّ أن أفعل؟

طلب مني أن أفتح الباب وكأن شيئاً لم يحدث!

غضبت منه كثيراً وكتبت له بأنه ليس هذا وقت المزح

أبداً.. لكنه كان جاداً!

طلب مني أن أثق به.. وأنه من المستحيل أن يطلب مني شيئاً يضرني.. ثم سألني:

- ألا تثقين بحبيبكِ الطبيب العبقري؟

- بلى بلى يا مغرور.. لكنك لو كنت مكاني لما وصفت نفسك بالعبقري.

- أريدكِ أن تكوني أمامه كالشيطان الذي يغوي ابن آدم بالوقوع في المحظور!

- هل جننت أنت.. لا أطيقه.. ما تطلبه صعب..

استمر بإقناعي.. ولم يكن هناك حل أمامي سوى القبول..

قام بعد ذلك بإرسال جملة كي أقولها لضياء.. ثم أفتح الباب مباشرة:

(ضياء حبيبي.. لماذا تقف خلف الباب.. ألم تشتاق لي؟)

وضعت كل ثقتي بخالد رغم خوفي.. وقلت هذه الجملة التافهة مجبرة..

تجاوب معي وهو يعبر عن ندمه وأنه قد اشتاق لي كثيراً..

أخبرت خالد وبدأ يرسل رموزا تعبيرية للضحك.. أرسلها

بالعشرات بشكل متتابع..

كان فرحاً بردة الفعل.. وطلب مني أن أفتح الباب حالاً وأن أحتويه!

رفضت مجدداً.. وكرر رجاءه لي.. إلى أن قبلت على مضض..

كانت مهمة صعبة..

فإما أن أنجو.. وإما أن أتعرض لضرب مبرح.. قد ينهي حياتي..

خبأت هاتفي بجيبي..

ثم قررت وأنا مرتبكة.. وفتحت الباب..

لقد ذُهلت منه! كان ينظر إليّ ووجه شاحباً.. وعيناه كذلك.. كان ذليلاً..

الحقيقة أنني خفت أكثر.. سألت نفسي:

ما هذه التغيرات التي تطرأ على هذا الحقير بين فترة وأخرى؟

اقترب مني ببطء وحضنني ثم بدأ يبكي.. وأنا لم أحرك ساكنا.. لم أصدق ذلك..

حتى ابتعد عني قليلاً.. ورأيت دموعه فعلاً.. ضياء يبكي! مستحيل!

نظرت إليه وهو ساكن.. كان أشبه برجل كهف لم ير الشمس منذ مدة طويلة..

لا أعلم ماذا حدث بداخلي.. لكن لم أتحرك.. ولم أتأثر حتى!

حجم الحقد الذي أحمله له يفوق بمراحل كل لحظة انكسار يقع فيها أمامي..

لقد دمر فيني كل صفات الرحمة.. على الأقل تجاهه..

تذكرت حينها تعليمات خالد بضرورة احتوائه.. تفاعلت فوراً معه, بعدما شعرت بهدوئه, وبأنه لن يضرني.. طلبت منه الجلوس كي أحضر له كوب شاي آخر..

لكنه رفض.. وأخبرني بأنه مرهق جداً ويريد النوم فقط.. ثم دخل كي ينام..

انتظرت حتى تأكدت من نومه.. ثم كتبت لخالد وأخبرته بما حدث..

تأكدنا سوياً من صحة تشخيص الطبيب أخيراً من دون شك..

قلت لخالد إنني أريد الهروب.. لكنه رفض، وقال إن النجاة

من ضياء هي في البقاء معه.. كي نبحث عن حل مناسب.. وسيأتي الوقت المناسب للهرب..

أقنعني بالصبر.. وكرر لي وعده بأنه لن يتركني..

اقتنعت بذلك.. فليس لديّ مكان أهرب إليه.. لن يستقبلني أحد من إخواني طبعاً..

وحتى أحمد الذي كنت أرى فيه بصيص أمل.. وأنه الرائحة المتبقية لي من أهلي..

فقدت الأمل به كلياً..

انتهى حديثي مع خالد بالاتفاق والتركيز على عدة أمور مهمة..

كي تسهل مهمة حريتي كما أخبرني..

أولها وأهمها أن أخرج جهاز خديجة بأسرع وقت ممكن, وأسلمه له كي يحتفظ به بمكان آمن خوفاً من عثور ضياء عليه.. بعد عودته المفاجئة للشقة..

ثم يأتي الدور بمحاولة إيجاد حل لأخي أحمد, من أجله أو على الأقل لسلامة الأبرياء.. الذي قد يتسبب بضررهم, ومن ثم علينا معرفة أين اختفت خديجة والإبلاغ عنها كي تزيد فرص الأمان لديّ..

وبعد كل هذا أخبرني بأنه سيبحث عن طريقة للتخلص من كابوس ضياء..

سألته:

- لماذا لا نسلم كل شيء إلى الشرطة ونرتاح؟

رفض وقال:

- أحياناً التوقيت مهم.. بلاغنا بهذا التوقيت قد يجعلنا متورطين أمام العدالة.. نحن سوف نهيئ اللحظة المناسبة لنا, ومن ثم سنخبر الجهات الأمنية المختصة كي يقوموا بواجبهم.. ولن يتأخروا حتماً.

رغم صعوبة المهمة.. إلا أنني لم أشعر بالقلق الذي كنت أشعر به سابقاً..

أي منعطف يشاركني به خالد ويكون بجانبي.. لن أتردد من خوضه..

كنت متشوقة للمحاولة.. ودّعنا بعضنا.. واتفقنا على حذف جميع المحادثات..

وأخبرته بألا يحدثني أبداً, إلا عندما أنا أطلبه للحديث كالعادة..

# نهايات تحمل تغيرات جذرية!

نمت تلك الليلة في الصالة.. على الأرض.. على البلاط ومن غير وسادة..

أحضرت عباءتي ولملمتها حتى تشكلت كالرغيف المنتفخ.. ثم وضعت خدي عليها,

ونمت عليها مرهقة جداً.. نمت بعد يوم مثير.. يبدو أنني تعودت على الإثارة..

طلع الصباح.. وأيقظني المعتوه ضياء بشكل سيئ.. لقد أفزعني!

كانت الآلام تدب في مفاصلي وعظامي من الوضعية السيئة التي نمت عليها..

تعجبت منه.. لم يتركني أكمل تعجبي حتى أخبرني وهو على عجلة من أمره:

- لقد علمنا من الذي سرق جهاز خديجة.. إنها الفتاة التي تشاركها بنفس الغرفة في السكن..

حرارة قصوى انتشرت بداخلي.. واختفى النوم المتبقي على وجهي فجأة..

لم أصدق ما سمعته.. نظرت إلى جهة الغرفة التي خبأت بها الجهاز من دون إرادة.. ثم نظرت إليه.. وقلت والرعب قد توسد وجهي:

- كذب.. أقصد مستحيل.. من قال لكم هذا؟ ما اسم الفتاة؟

- توصلنا إليها بطريقتنا الخاصة.. بمساعدة داخلية في السكن هناك.. لقد تمكنّا بصعوبة من مشاهدة ما صورته كاميرات المراقبة هناك بالممرات المؤدية إلى الغرف.. ورأينا الفتاة وهي تركض وتحمل شيئاً مخبأً..إنه الجهاز لا شك بذلك.

- لا لا.. ألم تقل لي سابقاً إن عاملات النظافة هن من سرقنه؟

- أخبرتني خديجة بأنها استيقظت قبل دخول عاملة النظافة وعندما سألتها من طلب منها التنظيف.. قالت لها مريم.. فطلبت منهم المغادرة من دون أن ينظفوا شيئاً.

عندما ذكر لي اسم مريم.. أيقنت أنها تورطت.. خفت كثيراً ولم أستطع حتى تحريك لساني بداخل فمي من هول الموقف.. حتى واصل حديثه بكل برود:

- لقد تعرفت عليها خديجة بمقاطع كاميرات المراقبة.. ولكن لا نعرف الدافع الحقيقي وراء سرقتها للجهاز.. لذلك

تصرفنا بشكل يضمن لنا سلامتنا جميعاً.. ترحمي عليها.. أخبروني قبل قليل بمقتلها.. سأعود ليلاً..إلى اللقاء.

خرج وأغلق الباب وراءه.. وظل فمي مفتوحاً.. وعيناي ثابتتين لا ترمشان!

ومن دون أي مقدمات.. انفجرت بالبكاء.. بصوت مرتفع.. حتى شعرت بتمزق حبالي الصوتية..

لم أصدق ما قاله ذلك المجرم!

مريم! أخرجت هاتفي ويداي لا تقوى على السيطرة عليه..

اتصلت عليها عشرات المرات.. وفي كل مرة يخبرني هاتفها بأنه مغلق..

كنت أمسح دموعي التي حجبت عني الرؤية من غزارتها, وأدعو لو كان الخبر كاذباً.. أردت أن أتصل بأخيها سعد, لكنني لا أعرف هاتفه للأسف..

لجأت إلى خالد.. اتصلت به وأجابني بعد عدة اتصالات..

أخبرته بما حصل معي.. رغم صعوبة إيصالي للخبر من فرط بكائي..

إلا أنه وصل.. صُدم بالخبر.. ولم يستوعب.. حتى أنه كرر ما أخبرته به كي يتأكد من حديثي المتقطع.. وكنت أجيبه

بصحة ما توصل إليه..

هذا الملعون.. يقتل من يسكنهم الخير.. يقتل كل من أتعلق بهم..

في السابق تسبب بمقتل زمردة.. وهذه المرة مريم!

كل المواقف الجميلة مع مريم تدفقت إلى مخيلتي..

ضحكتها.. استهبالها.. طيبتها.. وتخيلت حال أهلها عند وصول الخبر إليهم!

تدخل خالد ليوقف بكائي ويتكلم بمنطقية كانت في محلها:

- روان البكاء الآن لن يغير شيئا.. إن تأخرنا سيفلت هؤلاء المجرمون من فعلتهم.. لابد أن نتقابل الآن وتحضرين معكِ الجهاز كي آخذه منكِ.. قبل أن يعود ضياء..

- لقد أخبرني الخبر الصادم وقال لي إنه سيعود ليلاً..

- حسناً.. سأكون بمواقف المول القريب من الحي بعد نصف ساعة من الآن..

- تقصد الجامعة مول؟

- نعم بالضبط.. تأكدي من ألا يراكِ أحد أو يتبعكِ.. تخفّي جيداً وسأكون بانتظاركِ.. إنها فرصتنا روان..

- فعلاً.. لن تضيع تضحية مريم بحياتها للحصول على الجهاز.. وسأنتقم من أجلها ومن أجل زمردة ومن أجل كل متضرر منهم.. (قلتها باكية).

حتى هذه اللحظة لم أصدق خبر مقتل مريم.. حتى عثرت عليه بعد أيام بإحدى الصحف.. يفيد بالعثور على فتاة مقتولة ملقاة بمنطقة غير مأهولة بالسكان لأسباب مجهولة.. بكيت حتى تبللت الصحيفة وشعرت بالذنب كثيراً.. احتفظت بالخبر يومها حتى هذا اليوم.. ما زالت معي قصاصته..

أنهيت الحديث مع خالد.. أخرجت الجهاز من سلة الملابس التي خبأته بها, ووضعته بحقيبتي, ووضعت الحقيبة بكيس كبير.. ثم لبست العباءة بشكل مختلف.. وضعت الشال فوق النقاب كنوع من التمويه لمظهري الذي تعودت عليه.. ثم توجهت مشياً على الأقدام نحو مواقف المول التجاري..

وصلت وبحثت عنه قبل أن يتصل عليّ ويحدد مكانه, وجدته منتظراً بالسيارة بإحدى المواقف الموجودة بالأخير.. ركبت معه.. ولم أتمالك نفسي من البكاء..

وضع يده اليمنى على يدي.. وحاول تهدئتي وسط حزنه الفاضح الذي لم يستطع إخفاءه.. ثم أخذ منديلا ورقيا ومسح عيني.. لقد لمسها.. لأول مرة يلمس عيني ولكن من وراء منديل.. ليست مباشرة.. شعرت بها تتحرك وتمسح..

ترحمنا على مريم ثم أخبرني بأن ما نقوم به الآن ليس من أجل حريتي فقط..

وليس من أجل مريم وغيرها من الضحايا فقط.. وإنما من أجل حرية الوطن..

ومن يعيش به.. حريتهم من كل مؤامرات الحقراء.. أمثال هؤلاء المرضى..

الذين باعوا وطنهم من أجل المال.. ومن أجل أمراض ومعتقدات دخيلة على فطرة عائلاتنا الذين كانوا يعيشون حياة أنقى وأطهر..

ما أجمل حديثه.. يضفي عليّ السكينة.. حديثه يجعلني أستجمع قواي في عز انكساري.. وجوده بقربي دواء ليس له مثيل.. فعلاً لابد أن أواصل..

حضر الصمت حينها وسط برودة تكييف السيارة.. حتى قال لي وهو يحرك باطن يده الخشن على ملمس ظهر يدي الناعم:

- حبيبتي.. أنا هنا كوحي إلهي منزل إليكِ.. أريدكِ أن تؤمنين بي من دون قلق.. لقد وعدتكِ مهما تفاقمت الأمور.. لن أتركك.. أنتِ قدري رغم كل شيء.. لقد أخذت إجازة من

العمل.. وسأتفرغ لكِ..

قلت له وأنا أنظر إليه كالضائعة:

- حبيبتك؟ أنا؟

- وهل هناك غيركِ فتاة بسيارتي؟ لقد بدأتِ بالتدفق إلى قلبي من جديد.. ولم ولن أستطيع أن أحب غيركِ.. لقد عدتِ إليّ بالصدفة, ولن أسمح لأحد أن يبعدكِ عني, ما فعله والدكِ لن يتكرر, سأستعيدكِ رغم الدمار الكبير, وسأصلح كل شيء تدمر بداخلكِ.. سينتهي كل شيء وأريدكِ لي.. إن لم تمانعي طبعاً..

كعادتي.. أتحول إلى كتلة نارية من صدمة الإحراج.. على الرغم من برودة السيارة من الداخل.. إلا أن البرد قد اختفى فجأة.. تعرقت وتهت.. ولم أعرف ما أقول سوى أن أصمت مبتسمة..

ولم يرى ابتسامتي للأسف.. لقد فاجأني بطلبه المفاجئ.. الذي لطالما تمنيته.. لكنني لم أتوقعه أن يكون بهذا الوضع..

بعض الأحداث التي نعيشها.. لا نتوقع حدوثها.. لا شيء يوحي باقتراب حدوثها..

لا الظرف.. ولا المكان, ولا حتى الزمان.. لكنه يحدث لنا

فجأة..

ليصبح موقفا لا يمحى من الذاكرة أبداً..

لم أتوقع أبداً محاكاتي لموقف رومانسي هكذا بعد خبر مقتل صديقتي مريم!

وأين؟ في مواقف سيارات لإحدى المولات!

تحدثت رغم عودة حزني وكأنني أبتسم.. وقلت باستحياء وأنا متداركة:

- لا أعلم ما يمكنني أن أقوله يا خالد.. سوى أنني لن أكون لغيركِ إن أصبحت حرة.. ولكن ليس هذا الوقت المناسب للحديث.. دعني على الأقل أعيش حزني كاملاً على صديقتي مريم.. وأن أتخلص من قلقي على موضوع أخي أحمد..

- آسف روان.. لم أقصد.. هي مشاعر وحضرت وأظهرت نفسها من دون تحكم ولا ترتيب.. أريدكِ الآن أن تذهبي إلى المنزل قبل عودة ضياء وتأكلين جيداً من أجل صحتكِ ومن أجلي..

- حسناً خالد.. أشعر بالأمان برفقتك.. هذه حقيقة.. أشكرك كثيراً.

- خذي هذا.. هاتف صغير مع شريحة اتصال جديدة سوف

تستخدمينه بالوقت المناسب!

- يا سلام.. قد نحتاج اليهما.. الهاتف والشريحة.. فعلاً سأستفيد منهما.. إلى اللقاء.

رفضت أن يوصلني وفضلت العودة سيراً على الأقدام..

شعرت باختلاف كلي لراحة النفس.. عند ذهابي للقائه, وبعد عودتي من لقائه..

كنت أمشي ببطء.. متناقضات بداخلي.. كثيراً من الحزن وبعض الفرح..

كنت أتساءل مع نفسي.. لا أعلم إلى أين سأصل بطريقي هذا؟

قبل صعودي للشقة.. مررت ببقالة قريبة وأخذت منها بعض الأطعمة المغلفة البسيطة وبعض العصائر.. والأغراض التي تنقصني..

ثم صعدت.. فتحت الباب.. ودخلت ثم أغلقته بالمفتاح وأنا سارحة البال..

ثم ألتفت.. كاد قلب يتوقف.. لقد عاد مبكراً.. المجنون ضياء كان واقفاً!

ينظر إليّ وإلى الكيس الذي أحمله.. ثم سألني غاضباً:

- أين كنتِ؟

- بالبقالة.. كنت جائعة جداً ولا يوجد شيئاً آكله..

- لماذا لم تخبريني؟

- كيف لي أن أخبرك وأنت أخبرتني عن خبر مهم وخرجت مسرعاً..

ولم أكن أريد أن أشغلك..

وكأنه اقتنع من حديثي أو أنه لم يكن متفرغاً لمثل هذه الأسئلة..

فجأة.. لاحظت ما كان يضعه على الطاولة!

سقط الكيس من يدي ولم أستوعب ما شاهدته! كيف حصل عليه؟

جهاز الحاسوب الخاص بخديجة!

كان على الطاولة.. لم أنتبه له إلا بعد انتهاء حديثنا.. كيف حصل ذلك؟

خالد! هل حصل له مكروه؟ تمنيت لو الأرض تبتلعني على أن أقلق عليه..

مستحيييييل.. هل راقبونا ومن ثم انقضوا على خالد بعد

مغادرتي وخطفوا الجهاز؟ أم ماذا؟

وقبل أن أسأل أي سؤال.. لاحظ نظراتي المندهشة وسبقني بالسؤال:

- الجهاز؟ أزُف إليكِ بشرى.. لقد حصلت خديجة على الجهاز بمساعدة زوجها.. عثرت عليه عند مريم قبل أن تكلف قاتلاً مأجوراً بقتلها.. كي نتخلص من أي دليل.. ربما نقلته من الجهاز تلك السارقة..

نظرت إليه كالبلهاء.. تساءلت بصمت وأنا أنظر إليه:

نعم! ماذا يقول هذا الأحمق؟ أي جهاز عثروا عليه؟ وكيف عثرت عليه خديجة

من الأصل؟.. لقد سلمته للتو إلى خالد! ليس هو كما يبدو.. استحالة أن يكون هذا جهاز خديجة.. هذا الجهاز يشبهه ولكنه جديد! يبدو أن هناك قصة محبوكة من خديجة وزوجها على ضياء.. كي ينجوان من الموت!

وللحظة انتبهت لكلمة غريبة قالها! لقد قال زوج خديجة!

سألته باندفاع مفاجئ:

- زوج خديييجة! هل هي متزوجة؟ ومنذ متى؟

وكأنه ارتبك وتلعثم على غير عادته! ثم أجابني بتردد

واضح:

- نعم منذ فترة ومن أحد الأصدقاء المتعاونين.. المهم.. هم الآن متوجهان نحو المطار كما أخبراني.. حجزت لهما بنفسي التذاكر عن طريق صديق مقرب.. سيغادران إلى تركيا.. حيث أصدقاؤنا هناك بالقرب من الحدود السورية.. كي لا يقعان هنا تحت الشبهات.. رحلتهما بعد أقل من ساعتين تقريباً..

حركت رأسي من دون أن أتحدث.. وتظاهرت بعدم اهتمامي لأمرهما..

وأخبرته بأنني لا أريد أن أزعج رأسي بمثل هذه الأمور.. ثم دخلت إلى الحمام..

وأخبرني هو بأنه سيدخل إلى الغرفة, كي يبحث بملفات الجهاز, ويرى ما تحمله..

كان لابد من إخبار خالد بهذا التغير الجذري..

كي يبلغ الجهات الأمنية قبل أن تهرب خديجة برفقة زوجها..

وبالفعل.. أخبرته كتابياً بالهاتف من داخل الحمام بسرعة, قبل أن يكشف ضياء خدعة الجهاز.. أخبرني خالد بأن أكون حذرة أكثر من قبل.. وهو سوف يقوم باللازم, وبأنه سينتظر

مني اتصالا في حالة حدوث أي مستجد بالأمور..

غسلت وجهي وخرجت عند ضياء وجلست بالقرب منه وأنا أسأله بتصنع, إن كان قد عثر على شيء مهم يخصني أو لا..

لم أكمل حديثي حتى أغلق شاشة الجهاز بقوة على لوحة المفاتيح!

ثم حمله وركله بكل قوته نحو الجدار.. حتى تكسر وتناثر إلى قطع متفرقة!

حدث ذلك وهو يصرخ بقوة بعدما تلبسه الغضب:

- الآن علمت لماذا كانا على عجلة من أمرهما, وهم مصرّان على السفر.. لن ينجحا بذلك.. وإن حصل.. فستكون نهايتهما بالبلد التي سيكونان بها!

ثم هجم عليّ بعدما خنقني وهو يقول:

- لن ينجو زوجها.. وسأقتلكِ أنتِ قبل أن تقتليني.. كلكم خونة..

ثم غادر مسرعاً متوجهاً إلى مطار الملك عبدالعزيز الدولي, كما قرر مجاهراً بذلك..

ما دخلي أنا بخدعة المجرمة خديجة وزوجها.. يريد قتلي!

يبدو أن الحالة النفسية قد عادت إليه.. مسكين.. كل الأمور أصبحت ضده..

سعدت بتوتر العلاقة الذي حصل بينهم.. اتصلت بعدها على خالد..

كانت مكالمة دسمة.. مليئة بالأحداث المتداخلة وغير المتوقعة..

أخبرني بنبرة صوت ليست على ما يرام:

- روان حبيبتي.. يبدو أنهم يتخبطون!

- ماذا تقصد؟

- لقد أبلغت الرقم الأمني (990)(12) الخاص بتتبع الإرهابيين عن خديجة وزوجها, وبعد فراغي من ذلك تلقيت اتصالات متكررة من زوج أختي منيرة! يخبرني باختفائها منذ فجر اليوم.. وبأنه بعد السؤال والبحث مستخدماً علاقاته بالمطار والمستشفيات.. توصل إلى أنها سوف تغادر تركيا! برفقتهم.. إنها ترتيبات القذر ضياء!.. أختي وخديجة وزوجها بتوقيت واحد سوياً(13)..

- يااارب.. منيرة مرة أخرى؟ فعلاً إنهم يتخبطون..

- روان.. أنا بطريقي إلى المطار.. أريدكِ أن تتصلي بأخيك

أحمد فوراً.. وأن تتأكدي هل هو بجدة أم بالرياض.. أم غادر إلى خارج البلاد.. حاولي الوصول إليه كي يتوقف الشك لديّ..

- أحمد! ما الذي تشك به؟

رفض الحديث قبل أن أتأكد وأتصل به..

أخبرته عما حدث مع ضياء وعن توجهه للمطار بعد اكتشافه حيلة خديجة بالجهاز المزيف.. وأخبرني خالد مسرعاً بأنه سيغير شريحته وهاتفه كي لا يصل أحد إلى هويته من الجهات الأمنية, وسيرسل لي رسالة تفيد برقمه الجديد على شريحة الاتصال الجديدة التي سبق وسلمها لي سابقاً.. ثم أنهينا المكالمة..

علمت فيما بعد من خالد أن أخته استخدمت حيلة ذكية لتجاوز الحدود السعودية!

لأنه عند سفر المرأة هنا.. يتوجب عليها إحضار موافقة ولي أمرها , وإلا فأنها لن تستطيع السفر..

ولي أمرها هو والدها.. وعندما تتزوج فإن الولاية تنتقل للزوج..

سابقاً كان يتوجب على ولي الأمر الحضور إلى المطار من

أجل التوقيع بالسماح لها بالسفر, وأما حاليا فقد استحدثت الحكومة (نظام أبشر(14))..

يخبرني خالد كما أخبره زوجها.. بأن منيرة أخذت هاتفه وهو نائم..

بعد أن استطاعت مراقبته والحصول على كل ما تحتاجه منه, للدخول إلى معرفه الخاص من خلال هاتفه..

فقامت بإصدار الأمر بالسفر.. ثم وصلتها الرسالة على هاتفه, وأدخلت الرقم وأكدت الطلب.. ثم مسحت كل شيء من خانة الرسائل الواردة..

وبذلك أصبح يمكنها السفر رسمياً.. بعد أن وصل للجهة الأمنية موافقة ولي أمرها الذي لا يعلم شيئاً من الأصل..

حيلة ذكية.. لا أعلم إن كانت من اختراع منيرة, أم أن الكثير من النساء يقمن بها!

أمثالها.. أحد الأسباب التي تجعل المتسلطين من الرجال يقومون باستغلال مثل هذه الحوادث لترسيخ خطورة حرية المرأة من قرارها المستقل بالسفر.. واستمرار فرض الولاية حتى على كبيرات السن!

كان أكثر ما يشغلني هو أخي أحمد.. قمت بالاتصال به..

لا أبالغ إن قلت إنني اتصلت أكثر من خمسين اتصالا! وفي كل مرة.. مغلق!

بدأ القلق يزحف إلى داخلي.. وزادت شكوكي..

قررت حينها بالاتصال على زوجته الكريهة.. التي يتبعها كالأعمى..

لا أتحمل حتى نبرة صوتها.. لكنني مضطرة..

اتصلت بها.. أجابتني وعرفتها بنفسي.. ردة فعلها كانت كما لو أنني شتمتها..

سألتها عن أخي أحمد.. وكانت المفاجأة!

أحرجتني كثيراً.. وكانت مستغربة من أنني لا أعلم خبرا عائليا مثل هذا, رغم مرور أكثر من ثمانية أشهر عليه.. لقد انفصلا!

وهي لا تعلم عنه أي شيء.. وعندما سألتها عن سبب ذلك رغم حبه لها!

أجابتني بأنها اكتشفت خيانته لها!

لقد تزوج زواج مسيار من ورائها.. ثم هددتني بعدم الاتصال مرة أخرى..

وأغلقت الهاتف بوجهي!

هل يعقل هذا؟ أحمد يخون زوجته التي كان يحبها بجنون ولا يرى غيرها!

أُحبطت وقتها، ولم أعلم كيف يمكنني الوصول إليه..

الصدمات معهم لا تتوقف.. ما هذه الدوامة التي يعيشون فيها؟ ولماذاااا؟!

وضعت الرقم الجديد بالهاتف الصغير الذي أعطاني إياه خالد..

بعد قرابة الساعة.. اتصل خالد بي..

رغم صوته الخافت.. إلا أنه كان سعيداً بعض الشيء.. بشرني بخبر القبض على أخته بالمطار.. ليس ذلك وحسب.. بل القبض على خديجة وزوجها..

كان ذلك قبل دخولهم للطائرة وإقلاع الرحلة بدقائق.. لقد أحبطنا مخطط هروبهم..

كان يحدثني وهو متألم على مصير أخته الذي انتهى بها المطاف بهذا الشكل..

حزنت كثيراً عليه.. لكنني كنت سعيدة كذلك باعتقال الحقيرة خديجة أخيراً..

شعرت من حديثه أنه يريد أن يقول شيئاً.. أعرف خالد عندما يبدأ باللف والدوران..

هو لا يجيد غير الصدق.. يصبح كالطفل عندما يحاول أن يبرر أو يكذب..

لذلك.. سهلت عليه وطلبت منه أن يتحدث.. قال بصوت هادئ محبط:

- روان.. حبيبتي.. نحن ضحايا تطرف أناس, يحملون اسماء عائلاتنا..

- حسناً.. وماذا؟

- روان أختي بقبضة الأمن الآن.. وكذلك أخاك أحمد!

- أحمد! ما دخله؟ كيف؟

- روان.. أحمد هو زوج خديجة..

يااااه.. سئمت الضربات.. الصدمات.. المفاجآت.. سئمت قذارتهم..

هبطت على الأرض.. ارتطمت ركبتاي بقوة أثناء سقوطي من الصدمة..

وكأن قدميّ لم تحملاني..

فأنا محملة بأشياء تفوق ثقل الجبال.. ماذا فعلت بحياتي كي يحدث بي كل هذا؟

حاول خالد أن يهدئني.. وذكرني بأخته.. كان يقول: من كان يظن أن فتاة كمنيرة تنجرف خلف هذه الأفكار.. وأن تكون لقمة سائغة لحسابات إلكترونية متطرفة..

هذه فتاة.. أنثى.. فلا تستغربين أن يحدث مع شاب كأحمد مثل هذا..

المال أعماه كما أعمى غيره.. وفهمه الضيق للدين ساهم بذلك..

بالفعل.. ما يقوله خالد صحيح..

للأسف.. لقد كان أخي أحمد يعلم أنني ضحية لخديجة!

هو من ساعدني بالدخول إلى السكن! كل إخواني كانوا وما زالوا ينظرون إليّ ليس كأخت.. فأنا من امرأة أخرى ليست أمهم.. كرههم لها جعلهم يرخصون قيمتي..

اكتشفت بعد ذلك.. أنه هو وخديجة من رتبا بوجودي بنفس الغرفة..

هو من سهل بتورطي بالأدلة.. وهو من سهل تورطي مع ضياء وأقنع إخواني بزواجي منه! وقبض ثمن ذلك!

أي رجولة تلك؟ يعتقد أن ذلك نوعاً من الجهاد! يتقرب به إلى ربه!

أو يتقرب به إلى جماعته!

أي دين هذا؟ وأي عبادة؟ لا أعلم.. ولا أريد أن أعلم كيف يفكر هؤلاء..

كيف تشكلت عقولهم؟ وكيف تصلبت قلوبهم؟

لقد نُحتت آلامي.. لو كانت مصيبتي مع ضياء وخديجة فقط.. لما حزنت كل هذا الحزن, لتجاوزت ما فعلاه بي مع الوقت.. ولكن أن يأتي ذلك من الأخ!

هذه المصيبة برمتها..

علمت حينها أن قلبي لم يخطئ حينما قرر كره أحمد.. وتضاعف كرهه الآن بداخلي.. لكن العاطفة دائماً تنتصر.. كلما تذكرته وتذكرت نهايته..

أتذكر ملامحه عندما كنّا صغاراً بمنزل شعبي واحد.. نلعب ونضحك..

لقد انتهكوا كل شيء جميل.. من أجل مصلحتهم.. لم يسلم منهم شيء!

لا الوطن.. ولا الدين.. ولا حتى الدم..

كلما تذكرته.. دمعت عيناي.. ويتعكر مزاجي..

كنّا نهدئ بعضنا أنا وخالد من المصائب التي أصابتنا..

حتى سمعت صوت الباب وهو يُفتح.. ودعته وأغلقت.. وتوجهت بالقرب من باب الحمام تحسباً لأي طارئ من ذلك المعتوه الذي لم أعد أطيقه كلياً ولا للحظة..

وبالفعل.. دخل ضياء متعباً ومحبطاً.. وهو يردد: تدمر الكثير.. تدمر الكثير!

حتى وقعت عيناه على عيني.. وصرخ صرخة تهتز لها البناية كاملة! قائلاً:

- أنتِ مرة أخرى.. تتنكرين كي تقتلينني.. كلكم تريدون القضاء عليّ!

ثم ركض نحوي ودخلت الحمام وأغلقت الباب بسرعة.. وأنا أضحك!

وأحاول أن أداري صوت ضحكاتي.. نعم.. أعلم أن هذا غريباً..

كل شيء غريب.. يكون غريبا فقط في البداية..

وبعد ذلك سيصبح مألوفاً.. حتى وإن لم نتقبله!

لكنني مللت هذا الحال المتكرر.. ومللت من الهرب إلى الحمام..

اللعنة على هذا الأهبل..

لم يتوقف عن ضرب الباب بقوة مهدداً ومحاولاً كسر وهو يردد:

- سأقتلكِ.. سأقتلكِ.. أنتِ لست روان.. أحتاج روان.. أريدها..

لم يكن أمامي إلا أن أتصرف كما تعودت معه.. بهذه الحالة المزرية..

هذه المرة تصرفت بتجبر وحقد عليه.. فما فعله بنا يستحق الانتقام..

ابتعدت عن الباب واتصلت به من رقمي الجديد وأجابني متسائلاً من المتصل..

أخبرته بأنني روان.. وأنني أحدثه الآن من المطار.. من هاتف أحد المارة..

قلت له وبصوت حزين بأنني ذهبت خلفه من أجل مساعدته من اللحاق بخديجة.. لكنني لم أجده.. والآن لا أملك النقود الكافية لكي أعود إلى المنزل..

طلبت منه الحضور فوراً.. وأخبرته بأن من توجد بالحمام ليست سوى امرأة شريرة تريد قتلك.. لذلك اخرج مسرعاً واتركها..

أخبرته بأنني مشتاقة لرؤيته.. وبأنني خائفة من الانتظار هناك..

قصة ساذجة كهذه لا يصدقها حتى الأطفال.. لكنها انطلت عليه..

فقط لأن سحر صوتي لا يقوى على مقاومته.. وفعلاً.. تفاعل بسرعة رهيبة..

واستجاب.. حيث سمعته يركض للخارج.. وسمعت كذلك صوت الباب وهو يُغلق..

لقد أصبح مثل الكلب!

من المستحيل أن يتصرف من تلقاء نفسه..

دون أن يتلقى الأمر من سيده.. صوت سيده فقط.. وأنا كنت سيدته..

كان وقتها وقد اقتربت الساعة من الخامسة عصراً.. كان يوم سريعاً ومثيراً..

انتظرت قليلاً.. ثم خرجت.. تأكدت من خلو الشقة..

ثم اتصلت بخالد!

طلبت منه أن يحضر بسرعة كي يأخذني.. ولن أنتظر للحظة واحدة..

فليس هناك أي داع من بقائي بالمنزل.. أخشى أن يعود ضياء ويضرني.. خصوصاً أنه أصبح كالوحش الجريح.. قد يتهور بأي لحظة ولم أعد أقوى على الحذر..

مللت الحذر والتركيز والتفكير.. كنت أحلم بأن أحيا حياة مرتاحة البال فقط..

اقتنع خالد بحديثي ورأى أنه ليس هناك أفضل من هذا التوقيت..

فأفضل الطرق للقضاء على الخصم.. هي الضربات المتتالية..

الضربات التي لا تعطيه لحظة للتنفس.. ضربة تتبعها ضربة حتى يتمنى السقوط كي يحظى بلحظة لا يُضرب بها ومن خلالها يتنفس.. وقد يكون الهواء الأخير له!

أخبرني خالد أنه خلال ربع ساعة تقريباً سيتواجد عند نهاية الشارع..

جهزت حقيبتي الصغيرة الوحيدة.. أخذت كل أغراضي..

ثم توجهت بسرعة عند المكان المتفق عليه.. حضر بعد دقائق من وصولي.. ركبت معه وبدأنا نتجول..

أثناء ركوبي بالسيارة.. لم يتوقف هاتفي القديم من الاتصالات..

كان أخواي يتصلان عليّ من الرياض..

احترت أرد أم لا.. وكن خالد طلب مني أن أرد عليهما كي لا يقلقان ويتفاقم الموضوع..

اتصل أخي الأكبر فايز.. فأجبته:

- أهلاً!

- روان كيف حالكِ هل أنتِ بخير؟ هل رأيتِ ما فعله أحمد بنا؟ لقد فضحنا فضيحة العمر.. الأخبار ومواقع التواصل الاجتماعي كلها تتناقل خبره وزوجته الجديدة التي أخذها سرا.. لقد تزوجها زواج مسيار الحقير..

تلعثم عندها وكأنه تورط بعد جملته تلك.. تذكر بأنه قبل عليّ أن أتزوج نفس هذه الزيجة غير المشرفة.. تنهدت بعمق قبل أن أجيبه:

- نعم.. للأسف لقد علمت مثلكم من الأخبار..

- للأسف.. لاحظنا بعض التغيرات التي حلت عليه في

حياته ومع أصدقائه الذين تعرف عليهم ببعض التجمعات الدعوية.. لكن لم نكن نتوقع أن تصل به الحال إلى هذه الدرجة.. كان ينبغي علينا أن نعرف أنه مقبل على نفق مجهول، وألا نتركه في اللحظة التي قرر فيها الاستغناء عن زوجته التي كان لا يقبل البعد عنها.. قبحك الله يا أحمد لقد شوهت اسمنا بين الناس..

لا يهمه سوى سمعته.. لذلك أجبته ببرود:

- فعلاً علمت بالطلاق مؤخراً..

ثم مارس دور الأخ المهتم.. وبدأ يسأل عني بكل وقاحة:

- أخبريني كيف جامعتكِ وزوجكِ.. نعلم أننا مقصرون بحقكِ, لكنها ظروف الحياة يا روان..

- أها.. فعلاً.. فعلاً.. جامعتي من أفضل ما يكون وكذلك زوجي..

- عال العال.. سأراجع الجهات الأمنية لدينا بالرياض.. كي أعلم ماذا سوف يفعلون بأحمد وزوجته.. ولا داعي لحضوري.. هذا أخي ناصر بجانبي, قلق عليكِ كثيراً يريد الحديث معكِ..

كلها رسميات.. وتأدية واجب.. اتصلا فقط من هول

الصدمة.. ولو لم يحدث مثل هذا الحدث الصعب لما اتصلا أبداً.. هما يخشيان العار.. كلام الناس قبل كل شيء.. لذلك اتصلا عليّ كي يتأكدا عن وضعي مع زوجي.. ويطمئنا على وضع فتاة محسوبة على اسمهم..

كان حديث ناصر مكرراً.. نفس تساؤلات أخي فايز.. لكنه بنبرة صوت مختلفة..

وعدني هو وفايز بزيارة خاصة من أجلي.. حينما تسنح ظروفهما..

انتهت المكالمة..

لم أهتم لأمرهما.. بالعكس ارتاح قلبي كثيراً.. عندما علمت بأنهما اتصلا فقط للسؤال.. وليس لشيء آخر.. لو حدث ذلك ربما تتعقد الأمور أكثر..

كنت صامتة.. وكذلك خالد يقود السيارة صامتاً.. ولا ندري إلى أين تقودنا الشوارع.. ملامح خالد مدمرة بسبب أخته.. لكنه يحاول إخفاء ذلك..

كان يتظاهر بالقوة أمامي..

اقترح عليّ أن أرتاح في شقته.. وأنه سوف يأخذ غرفة بالفندق القريب منها..

لم أجادله يومها.. لأن ليس هناك حل آخر.. خصوصاً أنني أعرف رأيه..

لن يقبل بأن ينام معي بنفس الشقة.. يخشى عليّ من كل شيء.. عنيد جداً بمثل هذه الأمور.. لذلك قبلت من دون نقاش وأنا محرجة..

كان يوماً جارحاً بالنسبة لنا.. يوماً صعباً بشكل لا يوصف..

فقدنا شخصين من عائلتينا بظروف قاهرة.. خارجة عن رغبتينا..

وصلنا البناية التي كان يسكن بها خالد.. جميلة وراقية جداً..

سلمني المفتاح وأخبرني برقم الطابق والشقة..

وطلب مني ألا أتردد بأخذ راحتي.. من دون قيود أبداً..

ثم ودعني كي يذهب إلى الفندق وأخبرني بأنه سيأتي صباحاً عند العاشرة..

كي يصحبني للإفطار سوياً.. والبحث عما يمكننا أن نفعله بعد هذه الأحداث..

دخلت الغرفة..

سبحت لأول مرة منذ شهور طويلة بحمام نظيف كهذا..

ثم تمددت على السرير المريح.. حاولت النوم ولم أستطع ذلك أبداً..

تمنيت وقتها.. لو أرى والدتي فقط للحظات.. كي أحضنها وأبكي..

هل تعلمون ما هو شعور فتاة تعيش مرحلة عمرية كهذه من دون أم؟

هو فراغ كبير.. شاسع.. يسع الأرض وما عليها وما حولها من كواكب وأكثر..

لم أسمع صوتها منذ فترة طويلة..

افتقدت إلى ذلك النوع من التعليمات التي تتذمر منها بعض الفتيات..

نامي.. استيقظي.. ارتاحي.. ذاكري.. البسي سيزورنا ضيوف..

بدلي هذا اللبس لا يليق.. ادخلي المطبخ.. رتبي حجرتكِ..

والكثير من الأوامر البسيطة النابعة عن حب.. نابعة عن خوفهم علينا..

افتقدت فعلاً كل ذلك..

والأهم من هذا كله.. افتقدت الحضن الذي تحتاج اليه كل فتاة لحظة انكسارها..

أمي.. أعلم بأن آخر شيء يمكنه أن يقلقكِ ويشغل تفكيركِ عليّ قبل رحيلكِ..

هو أن تتورط ابنتك مع تنظيم إرهابي كتنظيم داعش.. تصبح أحد داعميه رغماً عنها.. فقدتكِ.. وفقدت كل شيء..

بكيت حتى شعرت بالمرارة بدمعي.. شعرت بها.. بطعمها داخل حلقي..

نظرت إلى شاشة هاتفي الذي وضعته على وضعية الصامت..

كي لا تزعجني اتصالات ضياء التي لا تتوقف.. حتى رسائله الصوتية والكتابية.. كانت تتوافد باستمرار.. ولم أعره اهتماماً..

فتحت "الواتس آب".. وجدت خالد متصلاً.. كان يصلني شعور بأنه ينظر إلى نفس المحادثة.. لكنه مثلي لا يعلم ماذا يمكنه أن يكتب.. ليست هناك قدرة على الكلام ولا حتى الكتابة..

حتى قام هو بكسر هذا الصمت.. وكتب لي.. بأن نترك هواتفنا ونخلد إلى النوم.. كي ترتاح أجسادنا ونلتقي صباحاً بوضع أفضل..

استمر ذلك الأحمق باتصالاته.. تركته يبحث عني بالمطار, وتركت اتصالاته, ورسائله من غير رد حتى تسوء حالته أكثر, ويخضع لي عندما يسمع صوتي مباشرة.

أبعدت هاتفي الآخر عني بعد أن ضبط المنبه على التاسعة صباحاً..

أحتاج للنوم طويلاً..

نمت بعد محاولات.. بصعوبة..

مر الوقت بسرعة.. لكنني استيقظت بعد العاشرة للأسف! لم أسمع المنبه أبداً من شدة الأرق.. وجدت خالد وقد كتب لي:

(صباحكِ هادئ.. لن أوقظكِ حتى تستيقظي وحدكِ.. أنا بانتظاركِ)

أحرجني.. كان يريد راحتي ولا يريد إزعاجي..

أجبته وأنا محرجة جداً:

(صباحك هدوء يحيط بقلبك, آسفة.. غلبني النوم, سأجهز

خلال نصف ساعة).

في المقابل.. استعمر شاشة هاتفي عشرات الاتصالات والرسائل من المزعج ضياء الذي لم يمل..

سعدت كثيراً بالقلق والعذاب الذي تسببت بهما له.. كان يتعذب..

بينما كنت أنا هانئة بالنوم.. رغم عدم راحتي التامة بتلك النومة.. يستحق ذلك..

أعلم أنه لن يلجأ إلى الشرطة أبداً.. لذلك ليس هناك ما يقلقني..

أخذت حماماً سريعاً ثم صليت الفجر رغم تأخر الوقت.. إلى أن حضر خالد..

توجهنا نحو الرد سي مول.. أحد أشهر المولات بمدينة جدة.. وصلنا واقتربت الساعة من الثانية عشرة ظهراً.. تحوّل الإفطار إلى غداء..

كان المول هادئا بعض الشيء.. شعرت بغرابة الوجوه التي تمر من أمامي..

يمشون براحة.. يبتسمون.. يتسوقون.. منهم من يمزح مع صديقه, ومنهم من يتحدث بحماس.. عن يميني.. مر شاب

كان يدفع عربة طفله الصغير وبجانبه زوجته.. شكلهم جميل جداً.. كانا سعيدين إلى حد ما.. أما عن يساري فكانت هناك عائلة.. يتشاجر أفرادها شجاراً مضحكاً على اختيار صنف الغداء.. والعديد من الوجوه المختلفة.. الكل يعيش هنا.. يقضون يومهم ببساطة في معمعة هذه الحياة.

ولا يعلمون ماذا يحدث خلف الكواليس! لا يعلمون حجم ما يحاك لهم!

فجأة شعرت بمراقبة خالد لي كما يفعل دائماً.. وهو يبتسم.. مستغلاً لحظة صمتي, ومستمتعاً كما بدا لي.. أضحكتني نظراته فقال:

- لا يليق على وجهكِ سوى الضحك..

- غبي.. من سمح لك بمراقبتي؟

- نفسه الذي سمح لقلبي بأن يحبكِ..

- حسناً يا فيلسوف.. أخبرني ماذا سنفعل الآن.. الوقت يمضي.. ولم يهدأ هاتفي أبداً من اتصالات المعتوه ضياء..

- سنذهب إلى السيارة الآن وسأخبركِ هناك..

عدنا إلى السيارة.. طلب مني أن آخذ نفساً عميقاً ثم أفتح الخزانة التي أمامي..

فتحتها.. كان هناك ملف وحيد.. أبيض اللون.. أخذته وفتحته كما طلب مني..

كان يحمل عشرات الصور التي لم أرها من قبل.. لأول مرة..

كانت صورا لضياء ولأشخاص لا أعرفهم.. كانت الصور مصورة في أماكن تشبه التي رأيت بها أخي أحمد إلى حد ما في تلك الصور.. والذي صدمني فعلاً..

بعض الصور التي كما وضح لي أنها مصورة من مقطع فيديو.. وُجدَ بها ضياء وهو يقف مع بعض الأشخاص أثناء إجراء عملية جراحية لشخص ما على سرير.. بدا كما لو أنهم داخل قبو.. يبدو أن المقطع تم تصويره دون علم ضياء..

عملية جراحية لسرقة الأعضاء البشرية!

بالملف يوجد أسطوانة تحمل تسجيل هذا الفيديو كاملاً..

سألت خالد وأنا مندهشة من الصور:

- كيف حصلت عليها؟ من أين لك كل هذه الصور الخطيرة؟

- من جهاز خديجة.

- حقاً! كيف ذلك؟ لقد بحث كثيراً ولم أعثر على صور كهذه!

- لا يا روان.. بالجهاز مئات الصور والمقاطع.. لكنها خُبأت بملفات مشفرة يصعب فتحها! عندما توصلت لها, عجزت على فتحها, لذلك استعنت بصديقي خبير إلكتروني من الجنسية الفلبينية، ويعمل بنفس المستشفى التي أعمل بها, هو المسؤول على جميع الاجهزة الإلكترونية وبرامجها لدينا.

- ومتى فعلت ذلك؟

- أمس.. طوال الليل كان معي حتى الفجر.. ولم أتركه حتى نجح من فك جميع الشفرات.. لذلك طلبت منكِ أن تبعدي الهاتف وتخلدي للنوم..

- فعلاً.. لاحظت أنك لم تنم.. يااااه يا خالد.. إنها نهاية القذر المؤكدة..

أنت يا ضياء بالنسبة لي..

كقطعة لباس وجدتها أمامي.. واضطررت أن أرتديها..

إن اختيار الملابس صعب جداً.. كما أن ارتداءها صعب.. وخلعها أسهل مرحلة من هذا كله..

وهذا ما سأفعله معك يا قطعتي الرديئة.. سأخلعك من حياتي بكل سهولة!

حدثت نفسي وأنا واثقة.. من أنني سأنهض حتماً مرة

أخرى..

لن أستسلم لهذا المنعطف الخيالي في حياتي..

أنا لم أهزم.. المهزوم من يسقط ولا يعاود النهوض مرة أخرى..

سأقف على قدمي وسأتقدم..

كنا نتناقش عن كيفية تسليم هذه الأدلة للأمن..

لكن خالد كان له رأي آخر.. كان يريد الانتقام أولاً!

أخبرني بأنه يريد أن يوصل هذه النسخة من الأدلة إلى ضياء..

كان يؤمن بكل التجارب التي مرت عليه في جامعته وقراءاته في الطب النفسي..

لذلك، أراد أن يستغل حالة ضياء النفسية, ويريد أن يضع الملف في يده بنفسه..

خفت كثيراً من هذه الفكرة المتهورة..

حاولت أن أمنعه مراراً, لكنه أصر على أن تصل إليه الصور, كي يقوم بعدها بالاتصال به وتهديده.. إما الطلاق أو بالإبلاغ عليه..

كان صريحاً معي.. يريد إنهاء علاقة ضياء معي وكم كنت أحلم بذلك..

لأنه يخشى أن يسجن الحقير.. ومن ثم قد تتأخر إجراءات الطلاق أو قد أتعرض للتحقيق.. هو يثق بالعدالة.. لكنه كان يخشى لو خبأ ضياء شيئاً يدينني به.. أمثالهم لا يؤتمن حتى ظلهم..

أحسست بالغضب الذي يفوح من عينيه.. وشعرت وقتها بقيمة الحياة..

عندما يكون لديك شخص لا يقبل أن يجرحك أحد.. شخص يجن جنونه عندما يضايقك أحد..

كررت محاولات منعي له.. لكنه كان مصراً.. ولم أوافق إلا بعد أن قطع لي وعدا..

بأنه لن يفعل أي شيء قد يودي بنا إلى الفراق مرة أخرى.. أو يعرضه للمساءلة القانونية.. واشترطت عليه أن أكون معه وسأنتظره بالسيارة..

وافق رغم أنه كان متردداً بذلك..

اقترب آذان العصر.. انتظرنا حتى الساعة الخامسة.. ثم طلب مني أن أتصل بضياء.. وأن أستغل أشواقه لي

ولصوتي.. وأخبره بأنني أحتاج إليه.. وأريد لقاءه بأسرع وقت..

سيطلب مني حتماً أن أحضر إلى الشقة.. سأرفض.. وأحدد مكانا معروفا لنلتقي.. اقترح خالد أن يكون في الساحة الخلفية لمسجد الحي.. لأنها ستكون شبه خالية بعد الخامسة عصراً..

وبالفعل.. اتصلت على ضياء.. كاد يجن جنونه.. شعرت بأنه يريد التهام الهاتف.. عجزت على فهم حبه لي, بعد كل هذا الطغيان الذي مارسه عليّ..

لكن بعض النفوس إذا تعلقت بالشيء.. تكون مهووسة به..

الحالة النفسية تضاعف ذلك.. يبدو أن الانطوائية التي كان يعيشها.. ساهمت بتعلقه بي بعدما سمح لنفسه بالاقتراب مني كثيراً.. ملامحي الجميلة أوقعته بي هكذا..

وبالفعل.. اتفقت معه مثلما تم التخطيط تماماً.. توجهنا فوراً نحو المكان المحدد..

أوقف خالد السيارة بعيداً.. وقبل أن يترجل منها.. طلبت منه طلباً أضحكه..

قلت له أن يتصل بي الآن ويجعل الخط مفتوحاً كي أستمع

إلى حوارهما..

وألا ينسى وعده لي الذي قطعه.. وافق من دون جدال.. وتوجه نحو المكان..

وجد ضياء يحوم ويجول.. يبحث كالأهبل.. حتى اقترب منه وناداه باسمه..

اندهش ضياء وسأله وأنا أسمع من الهاتف:

- من أنت؟

- تعودت قبل أن أذهب للقاء مهم..أن أسأل عن الشخص الذي سوف أقابله.. فعندما أسافر للخارج مثلاً.. قبل أن أسهر في أي مرقص شهير.. لابد أسأل عن راقصة الليلة وأرى صورة لها.. لذلك قبل أن أقرر لقاءك في ساحة المسجد.. سألت عنك جيداً ورأيت صورا لوجهك كي أحلله..

- ويحك! هل تشبه المسجد بالمرقص؟

- لا طبعاً.. بل أشبهك أنت بالراقصة.

- ماذا تريد؟ سأكسر رأسك إن لم تبتعد..

- محزن هو حالك.. تفضل هذا الملف الجميل.. لدينا منها عشرات النسخ.. أريدك أن تستمتع بآخر لحظاتك هذه.. وداعاً..

ثم عاد إلى السيارة, وكأن الروح عادت إليّ.. عاد النفس إليّ أول ما أغلق الباب..

كان يضحك وهو يضرب مقود السيارة.. كان نادماً.. تمنى لو أنه أبرحه ضرباً حتى يغمى عليه.. لكنه تمالك نفسه من أجلي ولم يعلم كيف استطاع ذلك..

ونظرت إليه نظرة حادقة.. وقلت له:

ما قصة المراقص والراقصة.. هاال؟

ضحك بقوة وطلب مني أن أعفو عنه..

فالماضي كما يقال.. يبقى ماضيا.. ولا يمكن أن نعدل على كُتب فيه..

لكن الحاضر وحده ما يمكننا كتابته بشكل أجمل.. وأفضل..

دقائق حتى وردني اتصال من ضياء!

طلب مني خالد أن أجيبه وأفتح مكبر الصوت كي يسمع معي ما يريده..

مكالمة حملت تناقضات لا حصر لها.. يبكي.. ويهدد..

سألني عن الشاب الذي سلمه الملف وهو يصرخ ويتوعد.. ثم يتراجع ويترجى ويطلب عودتي.. إلى أن قاطعته وقلت

له بعد أن انفجر قلبي منه:

- أيها القذر.. اللعين.. أيها المجرم الخائن لكل شيء.. اسمع كلامي الأخير.. أريد منك غدا في الصباح أن تذهب للمحكمة وتطلقني.. وأن تختفي من حياتي بهدوء.. وإلا.. كل ما وصلك من إدانات يحملها الملف.. ستكون حاضرة غداً على طاولة أكبر مسؤول أمني.. تأكد بأنك منذ هذه اللحظة أنت مراقب.. لن تستطيع التحرك ولا الهرب.. ليس مسموح لك سوى بالتوجه إلى المحكمة فقط..

حاول أن يطلب مني أن أسمعه قليلاً.. لكنني أغلقت الخط بوجهه..

كان ذليلا.. مرتبكاً.. في حالة يرثى لها.. استغرب خالد من تصرفي وضحك:

- كيف قلتِ كل هذا.. لقد قضيتي عليه..

- أخرجت نقطة من بحر العذاب الذي أغرق قلبي فيه هذا النتن..

ثم أنني لست أقل عنك تخطيطاً وتدبيراً (قلتها بغرور وأنا أبتسم)

غادرنا ونحن بحالة نفسية أفضل.. بعد ساعة تقريباً ونحن

بالسيارة..

وصلتني رسالة من ضياء:

(بالنسبة لي.. انتهى دوري بالحياة التي لم تحبني يوماً.. لن أدخل إلى سجن الدنيا مهما كلفني الأمر.. إلى اللقاء.. بالآخرة).

قرأت الرسالة لخالد.. ولم نستنتج شيئاً منها.. سوى أنه ربما يخطط لعمل انتحاري!

أيعقل أن يقوم هذا المعتوه بشيء كهذا؟ احترنا ماذا يجب علينا فعله..

عاد خالد بسيارته نحو الحي.. أراد أن يمر أكثر من مرة أمام المبنى الذي يسكنه ذلك المجنون.. وطلب مني أن أعاود الاتصال به مرة أخرى.. كي نأخره من فعل أي مكروه, ونطلب عندها رجال الأمن من أجل القبض عليه..

عند اقترابنا من البناية.. وجدنا العشرات من المارة يركضون نحوها!

متجمهرين هناك! لم نفهم ماذا يحدث!

قرر خالد أن يوقف بالسيارة بعيداً ويقترب بحذر لمعرفة ماذا يحدث..

كنت أبكي وأترجى خالد بألا يفعل ذلك.. خوفاً من العاقبة..

لكنه كان يصرخ طالباً بأن أهدى.. حتى خرست ونزل.. ثم أغلق السيارة عليّ..

دقائق حتى عاد مذهولاً.. سألته بعد أن تعبت نفسيتي كثيراً:

- ما بك.. ماذا كان هناك؟

- المعتوه.. ألقى بنفسه من أعلى البناية.. لقد انتحر!

لم أصدق.. آخر شيء كنت أتوقع سماعه خبرا كهذا.. بكيت كثيراً..

ليس حزناً عليه.. لكن لأن قلبي قلب فتاة.. وما يحدث لا يحتمله قلب كقلبي..

لا أعلم كيف سيكون وضعي لو لم يتواجد خالد بجانبي؟!

سعى لتهدئتي.. وخفف من صدمتي.. واحتواني.. كنت خائفة من التحقيق معي, سيطلبونني بالتأكيد لأنني مسجلة كزوجة له.. وطريقة موته ستفتح ألف باب وباب,

لكن خالد طمأنني كثيراً.. لأن ليس هناك أي دليل يدينني ولا حتى يدين ضياء..

الذي لطالما كان حريصاً وحذراً.. وكل ما يدينه.. هو بحوزتنا..

لذلك.. قررنا أن ندفن هذه القصة بيننا!

نعم.. فلقد اختفى الضرر الذي كان قد يصيب الوطن من وراء ضياء بموته..

أحياناً نتصرف بطريقة قد تأنب ضمائرنا.. لكنها تكون الحل الوحيد..

اتفقنا فقط.. على تسليم الأدلة التي تخص معرفات تويتر المتطرفة(15).. الحسابات التي تنشر التطرف والفكر الداعشي, التي تتصيد الأبرياء من فتيات وشباب هذا الوطن الغالي وغيره من الأوطان.. قررنا أن يسلمها خالد بمعلومات مفصلة.. بواسطة طريقة معينة.. من دون أن نشير إلى أنفسنا..

اللون الأسود لا يمكنه إزالة الظلام.. اللون الأبيض فقط من يستطيع ذلك!

يستطيع.. رغم الصعوبة التي سوف يواجهها.. ورغم المحاولات التي ستسعى لإيقافه..

قلوبهم سوداء.. ونحن قلوبنا بيضاء.. لذلك..

كنت وقتها على يقين كما زرع فيني ذلك خالد.. بأننا سوف ننجح..

حضرت سيارة الإسعاف وحملوا الجثة.. ونحن نراقب من بعيد ومن ثم تبعناها..

كان اقتراح خالد أن أتواجد بالمستشفى وأتظاهر بحزني.. حتى يبدأ التحقيق..

ولا تحوم حولي الشبهات.. وبالفعل ذهبت وحضر المحقق وأخذ معلوماتي وإفادتي بصفتي زوجته بعقد زواج مسيار..

نكرت معرفتي بأي شيء يخص بإقدامه على الانتحار.. وعند بحثهم وراءه..

توصلوا إلى ملفه الطبي وأنه قد تم تسجيل حالته النفسية المتقلبة قريباً..

وبعد أيام.. سُجل سبب انتحاره رسمياً بأنه نتيجة مرض نفسي يمر به..

مر كل شيء بسهولة ولم يقم أحد له أي عزاء..

المفاجأة التي لم أفكر بها.. ولم أحسب حسابها أبداً.. ذلك الخبر الذي وصلني!

وهو أنني كنت الوريثة الوحيدة لأملاكه!

محلاته التجارية التي كان عددها نحو ستة محلات, والعديد من العقارات, ورصيده البنكي الذي تجاوز الثلاثة ملايين ريال!

لم يكن له أي أحد.. لا أحد يعلم ما قصته الحقيقية..

وكل تعب السنوات الذي جمع به المال بأساليبه الملتوية القذرة.. أصبح لي..

ولن أتنازل عنه أبداً.. رغم أنها لا تكفي تعويضاً لعذابي معه..

تلك قرابة الستة أشهر التي قضيتها معه..

وأما أحمد وخديجة ومنيرة التي قام زوجها بطلاقها..

ما زالت محاكمتهم مستمرة.. والجميع يترقب الحكم النهائي عليهم..

خرجت من العدة.. وبعد ذلك بشهر.. قررنا ألا يضيع يوم جديد..

تكفي الأيام التي ضاعت سابقاً..

وكأن لقاءنا رفض أن يكون إلا بعد كل هذا الخراب الذي مررنا به سوياً..

إنه الحب الحتمي.. الذي لابد أن يبقى وأن يكون..

حضر أخواي فايز وناصر كشهود على عقد قراني..

أنا وحبيبي الدكتور خالد..

وافقا بعد ترددهما بالبداية.. وتنازلا عن أسبابهما السابقة فجأة!

بعد معرفتهم بكل ما حدث لي من أمور..

وافقا.. ليس من أجلي.. لكن من أجل راحتهما كالعادة..

خصوصاً أنهما يعرفان خالد جيداً عندما كنّا في حينّا القديم بالرياض..

حي الجرادية..

حصل خالد على عرض مغر, للعمل بأحد مستشفيات دول الخليج المجاورة..

بعد أن عرض عليه ذلك.. صديقه البروفيسور الذي تتلمذ على يديه أيام دراسته.. ويثق بقدراته كثيراً..

فقررنا الانتقال للحياة هناك.. بعد أن قمت بتصفية جميع المحلات التجارية والعقارات بمبلغ كبير.. كان الدافع لنا هو البحث عن الأمان والهدوء..

وبدء حياة جديدة.. يحيطها حبنا الحقيقي الذي صمد رغم

كل الظروف القاهرة..

وقمت بعمل بعض الأعمال الخيرية على نية مريم.. وزمردة.. ووالدتي طبعاً..

على الرغم من تجربتي المثيرة والمؤلمة..

واستقراري خارج الوطن الذي سأعود إليه حتماً..

إلا أنني كسبت أخيراً.. الأهم.. حبي الوحيد خالد..

ومسحت الماضي التعيس كله.. بما فيه اسمي الذي أُجبرت عليه..

الشيخة روان.. وأصبحت فقط.. السيدة روان..

---

(1) زواج المسيار: (هو شكل من أشكال الزواج.. وأحد عقود الزواج المتعارف عليها.. سمي بهذا الاسم لأن الرجل يسير إلى زوجته متى ما أراد واحتاج إليها.. كما يقال دائماً من قبل رجال الدين الذين أجازوه.. بأنه زواج مستوفي للشروط الشرعية كما يوضح على الورق بشكل شرعي ورسمي.. لكن تتنازل فيه المرأة عن حقوقها الشرعية مثل المبيت أو النفقة المالية أو السكن أو حتى الاستقرار معها والعديد من الحقوق.. اختلف عليه الكثير.. بعضهم من رأى أنه حل للعنوسة والبعد عن الحرام، وذلك بإشباع الرغبة بشكل شرعي.. والبعض رأى خلاف ذلك تماماً، لأنهم يرون أن معظم من يقدم على هذا النوع من الزواج يشترط السرية، أي أنه يبحث عن متعة وقتية بسبب ظروف أسرية معينة.. ما يجعله زواجاً بنية

الطلاق وهذا لا يجوز شرعاً..

وكذلك سيتسبب بهدم المفهوم الراقي والجوهري للزواج.. الذي يحث على تكوين أسرة مستقرة يقدس بها الزوجية.. ما يفتح بابا إلى بعض من لديه القدرة المالية من الزواج والطلاق بكثرة.. وهنا أضفنا إلى مشكلة العنوسة مشاكل أكثر.. تتمثل بالطلاق المتزايد والأطفال المهملين ربما والكثير من السيئات).

(2) (هاشتاقات سعودية: في كل هاشتاق يحمل الصبغة السعودية ويتصدر الهاشتاقات على تويتر.. تجده يعج بالحسابات الوهمية التي تقوم بنشر العديد من التغريدات المحرضة والمتطرفة بصور خبيثة.. يتخللها بعض الصور الدامية والمقاطع الإجرامية يقدمها تنظيم داعش.. محاولين بذلك الوصول إلى أكبر شريحة ممكنة من الشباب السعودي والخليجي.. وذلك بعرض بضاعتهم.. واستدراج ما يمكنهم استدراجه منهم وذلك بالتأثير العاطفي عليهم).

(3) (الجهاد الإلكتروني: هو الإعلام الجديد وما يندرج تحته من مواقع التواصل الاجتماعي وعلى رأسها تويتر.. يستخدمه تنظيم داعش كساحة قتال افتراضية! لجذب الشباب والفتيات بالانضمام إليهم في سورية والعراق، حيث يتم تجنيد العديد من الأشخاص ليجلسوا وراء الكثير من المعرفات الإلكترونية من أجل نشر كل ما يخصهم من أخبار وأفكار ومقاطع وصور وغيرها.

تقارير كثيرة انتشرت بالقنوات الإخبارية وخصوصاً ذلك التقرير الشهير المنشور على قناة العربية والذي أفادت فيه.. بأن الجماعات الإرهابية حرصت على استغلال تلك الشبكات الاجتماعية غير المكلفة مادياً.. وأكدت أن وزارة الداخلية السعودية أعلنت ولأكثر من مرة عن وجود حسابات عبر تويتر هدفها تجنيد الشباب السعودي أو التحريض على أهداف داخل المدن السعودية.. كما

أشارت إلى أرقام سابقة عن وجود أكثر من ستة آلاف حساب عبر تويتر تكتب تغريدات موجهة للسعودية لتسويق الفكر الجهادي.. وتقوم آلاف الحسابات بإعادة التغريد لهذا المحتوى).

(4) (كتيبة الخنساء: هي أحد أشهر الكتائب النسائية التي تتولى المرأة فيها دور عقاب النساء المخالفات ببعض الأماكن التي يسيطر عليها التنظيم..

تضم هذه الكتيبة قسما إلكترونيا خاصا بها.. يقوم على النشر والإنتاج لكثير من أخبار ونشاطات التنظيم الداعشي.. كما يساهم وبقوة في تجنيد الفتيات الراغبات بالانضمام إلى صفوف داعش.. وتسهيل مهمة العبور لهن بسورية.. تقول الأخبار إن من يتولى إدارة هذا القسم الإعلامي هي امرأة سعودية.. أحد أشهر الداعشيات السعوديات هناك.. يجب التنويه: بأنه تم نشر الكثير من التقارير المرئية الموثقة على الكثير من القنوات والصحف الشهيرة.. تقارير تحمل أسماء أشهر الإرهابيات السعوديات المطلوبات لدى الدولة).

(5) (مدينة قرقميش: مدينة تركية على الحدود السورية.. بالقرب من مدينة جرابلس.. حيث اشتهرت بتوافد المقاتلين سراً من أجل تهريبهم بواسطة عصابات تهريب مجهولة.. إلى داخل أراضي القتال بسورية.. استمر ذلك طويلاً حتى قررت الحكومة التركية من محاربتهم.. بعد أن مارس عليهم المجتمع الدولي ضغوطات كبيرة.. نتج عن ذلك تصاعد الإنتقامات من قبل المقاتلين بواسطة العمليات الإرهابية التي توالت بداخل تركيا.. مما دفع تركيا على اتخاذ موقف صارم بمراقبة الحدود بشكل أكبر).

(6) (مدينة جرابلس: مدينة سورية.. تقع في أقصى شمال سورية على نهر الفرات.. حيث إنها أول مدينة يدخل عبرها النهر).

(7) (أكد منسق الاتحاد الأوروبي لمكافحة الإرهاب (جيل دو كيرشوف).. أن تنظيم داعش ما زال يشكل خطراً على الاتحاد الأوروبي.. حيث يواصل تجنيد الشباب بعدة طرق.. أهمها: مواقع التواصل الاجتماعي.

وقد نجحت وحدة مكافحة الإرهاب البريطانية عبر الإنترنت في السنوات الخمس الماضية في إزالة 9 آلاف صفحة ومشاركة على تويتر مرتبطة بنشاطات إرهابية).

(بحسب صحيفة ديلي ميل البريطانية).

(كما ورد في أحد الأخبار بالفترة الماضية بأن الشرطة البريطانية أعلنت أنها تحاول تعقب ثلاث تلميذات من لندن.. يعتقد بأنهن في طريقهن إلى سورية بعد أن ركبن طائرة تابعة للخطوط الجوية التركية إلى اسطنبول من دون إبلاغ عائلاتهن).

( لندن – رويترز )

(8) (مدينة الرقة: تقع في شمال سورية.. على الضفة الشرقية لنهر الفرات.. وهي من أكثر المدن التي عانت بالأحداث السورية.. وأحد أشهر المدن التي سيطر عليها تنظيم داعش وجعلها بمثابة عاصمة له).

(9) (غازي عنتاب: مدينة جميلة.. تقع في جنوب تركيا.. تعتبر من المدن الصناعية المهمة هناك.. سكانها خليط بين من هم أصولهم كردية وأقلية من الشركس.. وكذلك يوجد الكثير من الأتراك)..

(10) (نشرت صحيفة الديلي ميل البريطانية.. تقريراً عن تلك الجرائم الجديدة لداعش ولجوء التنظيم للاستعانة بأطباء أجانب.. للاحتفاظ بالأعضاء البشرية للقتلى بطريقة طبية سليمة.. ومن ثم بيعها للمافيا

العالمية لتجارة الأعضاء البشرية لتوفير الأموال للسلاح ولعملياته العسكرية ومرتبات مقاتليه.

حيث أنشأ التنظيم شعبة خاصة لتهريب وبيع الأعضاء البشرية مثل القلب والكبد والكلى والأمعاء والقرنية في السوق السوداء الدولية للمافيا العالمية.. عبر تهريبها عن طريق عصابات متخصصة مقابل مبالغ مالية كبيرة).

(11) (متلازمة كابجراس أو وهم كابجراس: (Capgras syndrome):

هو اضطراب يصاب به الشخص بحيث يتوهم صديقه أو زوجته أو والديه أو أي شخص مقرب منه.. استبدلهم بشخص محتال يشبههم بمظهرهم..

أي أنها حالة مرضية نفسية يعتقد فيها الإنسان أنه أو أحد أقاربه قد حلّ مكانهم مستنسخ منتحل.

يخاف الكثير من الذين يعانون هذه المتلازمة من "المستنسَخ"، بل ويحاولون قتله!

من غير الواضح ما الذي يسبّب هذه المتلازمة، لكنها تحدث مع الأشخاص الذين عانوا من إصابات في الرأس.. قد يصبح الذين يعانون من هذه المتلازمة عنفوانيّين بهدف حماية أنفسهم، ووفقًا لإحدى النظريات الرائدة، فالسبب هو اضطراب في مركز الرؤية.. الذي يُلحق الضرر بالقدرة على التعرف على الوجوه المألوفة)..

(12) (الرقم الأمني 990: هو رقم مجاني بسيط وسهل الحفظ.. وضعته وزارة الداخلية السعودية للمواطنين والمقيمين للمساعدة بالبلاغ عن كل ما يثير الريبة والاشتباه بشخصيات إرهابية أو ما قد يضر الوطن).

(13) (تكررت قصص سفر أفراد من نفس العائلة الواحدة, من أجل

الالتحاق بمثل تلك التنظيمات الإرهابية.. مؤخراً في موسم 2016.. حصلت قصة مشابهة:

حيث صرح المتحدث الأمني لوزارة الداخلية أنه في يوم الاثنين الموافق 1437/11/5 هجري.. تلقت وحدة البلاغات الأمنية (990) بلاغاً من أحد المواطنين يفيد فيه بمغادرة زوجته المملكة ومعها ثلاثة من أبنائهما يبلغ عمر أكبرهم "10 سنوات"، فيما يبلغ عمر الأصغر "سنتين"، ويرافقها اثنتان من شقيقاتها، إحداهن بمعيتها أربعة من أبنائها أكبرهم "6 سنوات"، وأصغرهم يبلغ من العمر "سنة" وذلك للالتحاق بمناطق الصراع كونهن يحملن الفكر التكفيري. وقد اتضح من المتابعة مغادرة المذكورين المملكة ووصولهم إلى بيروت، وعلى ضوئه جرى التنسيق الفوري مع السلطات المختصة في لبنان الشقيق بما مكن بحمد الله الجهود المكثفة من اعتراض شروعهم في مغادرة لبنان باتجاه سورية والمحافظة على سلامتهم وخاصة الأطفال الذين كانوا بمعيتهم، وقد تمت استعادتهم جميعاً إلى المملكة بتاريخ 1437/11/8 هجري بعد أن خضعوا للفحوصات الطبية اللازمة، حيث جرى ترتيب رعاية الأطفال، فيما ستتم إحالة النساء إلى الجهات العدلية لاتخاذ الإجراءات النظامية بحقهن والتحقيق في ملابسات ودوافع سفرهن). (خبر رسمي "واس")

(14) (هو نظام إلكتروني حكومي.. تم تفعيله من أجل تسهيل الإجراءات على المواطنين وذلك بإنهاء الكثير من المعاملات الحكومية من خلال أجهزتهم الذكية, بدلاً من عناء الحضور.. ومن ضمنها معاملات النساء.. الخاصة بالجوازات.. كالسفر.. لكل ولي أمر معرف ورقم سري لا يقبل السماح والموافقة على المعاملة, من دون إدخاله.. مسجل برقم هاتفه المحمول الخاص..).

(15) (توجد أعداد كبيرة لمثل هذه الحسابات.. والعديد من القصص الحقيقية التي نشرت رسمياً بالصحف السعودية.. فعلى سبيل المثال لا

الحصر..

أعلنت الجهات الأمنية في يوليو عام 2015 أنها تمكنت من القبض على 144 مغرداً.. من العناصر التي تعمل على نشر الفكر الضال عبر شبكات التواصل الاجتماعي (تويتر).. وأوضح المتحدث الأمني لوزارة الداخلية أنه تم التعامل مع أصحاب عدد من المعرفات على تويتر من التابعين لتنظيم داعش الإرهابي.. من بينهم المعرف الذي سبق وهدد الفنان الشهير ناصر القصبي وتوعده بالقتل.. بعد أن عرض القصبي انتقادات لتنظيم داعش في إحدى حلقات المسلسل "سيلفي").